مختارات من الأدب العالمي للشباب

مزرعة الحيوان

Animal farm

جورج أورويل

إعداد وتقديم
وفيق صفوت مختار

دار الطلائع

اورويل ؛ جورج ، ١٩٠٣ - ١٩٥٠
مزرعة الحيوان :Animal Farm
جورج اورويل ؛ اعداد وتقديم وفيق صفوت مختار
القاهرة: دار الطلائع للنشرو التوزيع ، ٢٠٢٠.
١٦٠ ؛٢٠سم
سلسلة مختارات من الأدب العالمي للشباب ، ٣)
تدمك: ٣ ٩١٢ ٢٧٧ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - القصص الإنجليزية
اعداد وتقديم
أ - مختار ، وفيق صفوت (معد ومقدم)
ب - العنوان
٨٢٣

رقم الإيداع: ٢٠٢٠/١٥٦٦٢
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 277 - 912 - 3

تصميم الغلاف الفنان: زكريا عبدالعال

جميع الحقوق محفوظة للناشرة

يحظر طبع أو نقل أو ترجمة أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب دون إذن كتابي سابق من الناشر، وأية استفسارات تطلب على عنوان الناشر.

٣٢ شارع أحمد فخـــري
- مدينة نصر - القاهرة
تليفون: ٢٣٥٤٦٣٩٢ (٢٠٢ +)
فاكس: ٢٣٥٤٦٣٩٣ (٢٠٢ +)

مقدمة

هذا هو الإصدار الثالث عشر من سلسلة الأدب العالميّ للشباب، والذي نُقدِّمه ونحن علي ثقةٍ بأنَّه سيكون بإذن الله تعالي عملاً متميزاً وفريداً في دقة اختياره، وطريقة عرضه.

لقد قمتُ بالاطلاع علي أغلب الإصدارات العربيَّة التي تناولت رواية « مزرعة الحيوان » **Animal farm** للكاتب الإنجليزي الشهير« جورج أورويل » **George Orwell** بالترجمة، كي يتسنى تقديم الأجمل والأحق بالقراءة الممتعة الشيقة. ولقد كانت الترجمات التي تمكنت من العثور عليها قليلة بعض الشيء، إلَّا أنَّها كانت ترجمات تتسم بالعذوبة والأسلوب الجيد في مجمله.

وكما هو مُعتاد في منهجنا الذي قد ارتضيناه منذ البداية فقد تخلصت من الأحداث الغارقة في التفاصيل التي قد لا تخدم العمل الذي نُقدِّمه. كما حاولت الابتعاد عن الكلمات الصَّعبة التي جاءت في بعض الترجمات علي الرغم من قلتها.

وبعد هذه المُعالجات الفنيَّة والدراميَّة للرواية أري أنَّها أصبحت مُعدة للقراءة السهلة اليسيرة، في عدد صفحات ملائم للغاية، دون أن يؤدي الاختصار إلي أي خللٍ في مسار الأحداث، أو بنيتها الدرامية.

حافظت بالطبع علي ما جاء في النصّ الأصلي للرواية الذي كان مصدري الرئيس في تقديم هذا العمل، والابتعاد تماماً عن النّصوص التي جاءت منسوخة بشيءٍ من الاختصارات المُخلة إخلالاً أضر بالعمل الأصلي للرواية.

وبهذا أكون قد انتهجت الفلسفة التي نتبناها في دار الطلائع للطبع والنشر والتوزيع بقيادة الكاتب والناشر الصديق « عبد اللطيف عاشور »، التي تُحتم علينا تقديم تلك الأعمال العالميَّة الفريدة علي أعلي مستوي من الكفاءة، والأمانة، والمصداقية، والشفافية، مع العرض الشيق الرشيق للأحداث، وكذلك الحفاظ علي المضمون الأصلي للرواية شكلاً ومضموناً.

كما أود أن أُنوِّه بأنَّ كافة العناوين الرئيسة لفصول الرواية قد تمَّ وضعها بمعرفتي الشخصيَّة، وذلك لخلق نوع من الجاذبية والإثارة التي لابدَّ منها. كما حاولت أن أعرج إلي تفسير بعض المصطلحات والمفاهيم التي وردت ضمن سياق الروايات المختلفة، وكذلك توضيح بعض المعاني للكلمات العربيَّة التي أبقيت عليها لكي تمنح القارئ حصيلة لُغوية جيدة.

وكما هو معتاد مع سائر الروايات التي صدرت من قبل فإنَّني أُقدِّم تمهيد يسبق فصول الرواية وأحداثها للكاتب أو الكاتبة أحاول فيه أن أسرد السيرة الذاتية من جهةٍ، والسيرة الأدبيَّة من جهةٍ ثانيةٍ، وكانت هذه السيرة الذاتيَّة والإبداعيَّة للكاتب الإنجليزي الموهوب « جورج أورويل » قد نُشرت من قبل علي صفحات مجلة دُبي الثقافية الثقافيَّة، دولة الإمارات العربيَّة، العدد: 128، يناير 2016م.

خالص الأمنيات بقراءةٍ ممتعةٍ شيقةٍ.

وفيق صفوت مختار

القاهرة،في أبريل 2020

تمهيد

مزج « جورج أورويل » George Orwell بين الحسّ السياسي والمُعالجة الجماليَّة، وقد نجح في ذلك تماماً، خاصَّة في روايتيه: « مزرعة الحيوان »، و« 1984». وقد كان «أورويل » روائيًّا وناقداً وصحافياً وكاتب مقال متميز، كُلّ ذلك في روحٍ تهكميةٍ ساخرةٍ، وبأسلوبٍ سلسٍ دقيقٍ مُحدَّدٍ، فالمعنى هو الذي يُحدِّد الكلمات التي يختارها، وتفكيره الواضح أدي نجاح كتاباته، وقد ساعده ذلك الأسلوب أن يجعل من الكتابة السياسية فناً من الفنون.

وإذا كان البعض يرى في « أورويل » اشتراكيًّا،أو فوضويًّا، أو مُتمرِّداً ومنقلباً على الشيوعية، فإنَّنا لا نراه إلَّا إنساناً يبحث عن حقيقة الأشياء لا عن أسمائها، إنساناً ظلت تصدمه الأكاذيب التي تُحيط بالأيديولوجيات في إطار بحثه عمَّا يُحقق الحُرِّيَّة والمساواة والعدالة للنَّاس جميعاً، بخاصَّةٍ أولئك الفقراء البسطاء الذين تزدريهم الأعين. إنساناً انقسمت حياته بين رحلاتٍ للغوص في أعماق التجارب هنا وهناك، يعقبها خلوات لتأمُّلٍ ما اكتشفه في تلك الرحلات والكتابة عنها، وهكذا إلى أن عاجله الموت بمرضٍ من أمراض الفقراء في زمانه.

كان يبحث دائماً عن عالمٍ لا تُمزقه أنياب الجوع ولا يسحق كرامته طغيان الديكتاتورية، فصار بذلك متسقاً مع نفسه، متوحِّداً مع آلامه وآماله مهما تباينت الآراء فيه واختلفت وجهات النظر في تصنيفه.. خالط البؤساء والمُشرَّدين وعايش الطبقة العاملة، ومَنْ يحيون حياة الكفاف فعرف الجوع وأحس بضراوته فأخذ يُصارعه ويُصارع مَنْ يقفون وراءه ويصنعونه ويباركونه.

ولد « إيريك آرثر بلير» Eric Arthur Blair ،وهو الاسم الحقيقي لـ« جورج أورويل » الاسم المستعار له والذي اشتهر به، في25 يونيو 1903م بمدينة

«موتيهاري » Motihari في ولاية « بيهار » Bihar الهنديَّة لأسرةٍ من الطبقة المتوسطة.

والده يُدعي « ريتشارد ويلمسري بلير» Richard Wilmsry Blair ، كان يعمل موظفاً صغيراً في الإدارة المدنية البريطانيَّة بالهند في دائرة الأفيون، وأمَّه تسمي «أيدا ميدا بلير» Ida Meda Blair والتي ترعرعت في « مولمين » Mulmin بـ «بورما » Burma وكانت ابنة تاجر أخشاب فرنسي بسيط في « بورما ».

وكان لـ « أورويل» أختين: «مارجوري» Marjorie التي تكبره بخمس سنوات، و« أفريل » Avril التي تصغره بخمس سنوات. وحينما كان عُمْر « أورويل » سنة واحدة نقلته أمَّه إلى إنجلترا.

عندما بلغ « أورويل » عُمْر الخامسة أُرسل إلى مدرسة الدير في « هينلي» Henley الواقعة على نهر التايمز، والتي كانت قد انضمت إليها شقيقته « مارجوري». كانت أمَّه تُريد له أن يقوم بتحصيل الدراسة في المدارس الحكوميَّة لكن عائلته لم تكن تستطيع توفير تكاليف المدرسة، وكان يحتاج الحصول على منحةٍ دراسيةٍ، وبالفعل حصل عليها ليدرس في مدرسة « سانت قبرص » St. Cyprus ابتداء من سبتمبر1911م، في هذه المدرسة التقى « أورويل » لأوَّل مرَّة بـ « سيريل كولوني» Cyril Colony ، والذي أصبح فيما بعد كاتب مشهور، ورئيس تحرير مجلة « الأفق».

كتب «أورويل» قصيدتين نشرتا في الجريدة المحلية، وجاء في المرتبة الثانية بعد «كولوني» ، وحصل على منحةٍ دراسيةٍ في كليتي « ولنجتون » Wellington، و« إيتون » Eaton. لكن منحة كلية « إيتون » لم تكن تضمن له مكان، ولم تكن متوفرة على الفور، فاختار البقاء في مدرسة « سانت قبرص » حتى عام 1916م. وفي مايو 1917م درس في كلية « إيتون» حتى ديسمبر عام 1921م، حين ترك الدراسة في سن الثامنة عشر والنصف.

تقارير الأداء الأكاديمي لـ « أورويل » أشارت إلى أنَّه أهمل دراسته الأكاديمية. ولم يكن لوالديه القدرة علي تحمُّل عبء إرساله إلى جامعةٍ أخرى بدون حصوله على منحةٍ دراسيةٍ جديدةٍ، وقد استخلصا من خلال تقاريره الدراسية السيئة أنَّه لن يكون قادراً على الحصول على منحةٍ جديدةٍ، فقرَّرا انخراطه بسلك الشرطة الهنديَّة، وقرَّر السفر عام1922 م للعمل في الشرطة الإمبراطورية الهندية، بعد أن اجتاز امتحان القبول.

كان لدى « أورويل » اهتماماً مستمراً نابعاً من طفولته بالتاريخ الطبيعي. كتب في رسائل من المدرسة عن اليسروع والفراشات، وذكرت « جاسينثا باديكم » Jacintha Badek، إحدى صديقات طفولته، اهتمامه الشّديد بعلم الطيور. وكان أيضاً يستمتع بالصَّيد وقنص الأرانب وإجراء التجارب مثل طبخ القنفذ، أو إسقاطه لطائر الغراب من سطح مدرسة « إيتون » لتشريحه. امتد حماسه للتجارب العلميَّة إلى المتفجّرات، وقد ذكرت أخته « أفريل » تفجيره للحديقة في « ساوث وولد » Southwold !!

قرَّر « أورويل » أن يذهب إلي « بورما » في عام 1922م ليعمل هناك في «البوليس الإمبراطوري »، فكان سريعاً في تعلُّم اللُغة، حيث كان قادراً على التحدُّث بسلاسةٍ مع الكهنة البورميين بمستوى عالٍ جدًّا من الفصاحة تبعاً للهجة أهل « بورما ». وقد كتب « أورويل » رسالة يشرح فيها شعوره بتأنيب الضمير والذَّنب تجاه دوره في العمل لصالح البوليس الإمبراطوري.

وفي « بورما » قام « أورويل » بتغيير مظهره، والذي سيلازمه طوال حياته،فقام بتربية شاربه متشبهاً بشوارب أفراد الشرطة البريطانيين المتمركزين هناك. وقام بوضع وشم في كُلِّ مفصل من مفاصل يديه للحماية من الرصاصات ولدغات الأفاعي، كما يعتقد أهل « بورما » حتى وقتنا هذا.

وفي سبتمبر1927م، وأثناء تواجده مع عائلته في الإجازة في إنجلترا قام بإعادة تقييم حياته. حيث قرَّر عدم العودة إلى « بورما »، واستقال من وظيفته في سلك الشرطة الإمبراطورية الهنديَّة، ربما اكتفاء بسنين المغامرة تلك وعودة إلى مسار الكتابة الذي طالما حلم به، أو ربما لإحساسه أنَّه يدعم بعمله هذا نظاماً لم يعد يؤمن به، وكما عبَّر هو فيما بعد في تقريره: « الطريق إلى ويجان بير » The road to Wigan Pier المنشور عام1937 م: « أردت أن أهرب من كُلِّ أشكال هيمنة الإنسان على الإنسان، والبناء الاجتماعي السائد في ظلِّ الإدارة الاستعمارية في بورما الذي كان أساسه الهيمنة على الآخرين.. ليس فقط البورميين بل أيضاً الإنجليز من الطبقة العاملة ». وقد قام بالاستفادة من خبراته في شرطة « بورما » لكتابة رواية « أيام بورما » Burmese Days التي صدرت في عام 1934م.

بنهاية عام1927 م انتقل للعيش في لندن حيث مكث « أورويل » عاماً كاملاً يتحسس أولى خطواته مع الكتابة، فقرَّر أن يعيش الحياة نفسها التي يحيّاها الفقراء حتى يتخلص من عُقدة النفور الموروثة لدىّ أبناء الطبقة الوسطى التي ينتمي إليها من الفقراء، فانتقل للعيش في أحياء لندن الفقيرة، وهو يرتدي ملابس تشبه ملابس المُشردين، وقام بتسجيل خبرته في الحياة الوضيعة ليستخدمها في « المسمار » وهو أوَّل مقال منشور له باللُّغة الإنجليزيَّة.

في ربيع 1928م، غادر إلى « باريس »، وقد عاش في « ريو دو بوت دي فير» Rio do Pot de Vere، وهو حي تقطنه الطبقة العاملة، وقد كانت عمَّتهُ « نيلي ليموزين » Indigo Limousine التي تعيش أيضاً في « باريس» داعمة له ماليًّا واجتماعيًّا. كان يكتب الراويات، ولكنَّه كان أكثر نجاحاً كصحفي ونشر مقالاً في «موند » Mond، وهي مجلة سياسية / أدبية بعنوان: « الرقابة في انجلترا » وكان ذلك بتاريخ 6 أكتوبر 1928م. وبصورةٍ أو بأخرى كان موضوع الفقر هو موضوعه الذي يكتب عنه دائماً وفي أي مكان بهوسٍ.

أصابه المرض في فبراير 1929م، فنقل إلى مستشفى « كوشين » Cochin، وهو مستشفى مجاني حيث يتدرَّب طلبة الطب. تجربته هناك كانت المرجع لمقاله «كيف يموت الفقراء ؟» How the poor die؟ التي نُشرت في عام 1964م. وبعدها بفترةٍ قصيرةٍ سُرق كُلّ ماله من مسكنه، وقد دفعه ذلك من باب الضرورة إلى أن يعمل في وظائف مُتعدِّدة كغسيل الأطباق !!

وفي ديسمبر عام 1929 م شرع « أورويل » في كتابة أوَّل كتبه، وكان تقريراً عن تلك الفترات التي عاشها في كُلٍّ من لندن وباريس بين الفقراء، لكن التقرير لم ير النور إلَّا في عام 1933م، وجاء بعنوان: « السقوط والخروج في باريس ولندن » Down And Out In Paris And London، واختار « أورويل » أن ينشره باسم مستعار هو: « جورج أورويل » (أورويل: اسم لنّهرٍ في المنطقة التي وُلد فيها)، مُبرِّراً ذلك بأنَّه يُريد التخلُّص من « إيريك آرثر بلير » Eric Arthur Blair الطالب القديم في « إتون »، ورجل الشرطة الاستعماري الإنجليزي ليصبح اللَّاطبقي، والمُعادي للسلطوية Anti-authoritarian بكافة أشكالها، ووجه « أورويل» كتابه ذلك إلى أعضاء الطبقة الوسطى التي ينتمي إليها ليروا كيف أنَّ حياتهم التي يستمتعون بها إنَّما وُجدت بفضل ما يُعانيه أُناس آخرون، واعتبر أنَّ مهمته إنَّما هي كشف الحقائق المؤلمة التي لا يريد النَّاس رؤيتها لأسبابٍ متباينةٍ، معتبراً أنَّه يمثل في ذلك الضمير الأخلاقي للإنجليز.

أُصيب « أورويل » بالتهابٍ رئويٍ نُقل علي أثره إلي مستشفى« أوكسبريدج » Uxbridge ، حيث أعتقد لفترةٍ أنَّ حياته في خطرٍ. وعندما خرج من المستشفى في يناير عام 1934م، عاد إلي « ساوث وولد » للنقاهة بدعمٍ من والديه، ولم يعد لمهنة التدريس بعدها. خاب أمله عندما رفض أحد الناشرين طبع روايته « أيام بورما »، وذلك لأسبابٍ تتعلَّق بالدعاوى المحتملة بتهمة التشهير، ولكن الناشر « هاربرس » Harpers كان مستعداً لنشرها في الولايات المتحدة الأمريكيَّة. وفي هذه الفترة، بدأ

« أورويل » العمل على كتابة رواية « ابنة رجل دين » A Clergyman's Daughter، متطرقاً لحياته كمدرسٍ ولحياته أيضاً في « ساوث وولد ».

في يناير من عام1936 م تلقى تفويضاً من « نادي الكُتَّاب اليساري » Left Book Club لفحص أحوال الفقراء والعاطلين عن العمل، فتوجه إلى شمال إنجلترا لفحص أحوال مجتمعات التعدين وعمال المناجم، حيث زار العديد من المنازل ليرى كيف يعيش الناس، ودوَّن ملاحظات تفصيلية حول ظروف السكن والأجور، وذهب إلى منجمٍ للفحمٍ، واستخدم المكتبة العامَّة المحلية ليرى سجلات الصحَّة، وأهم التقارير عن ظروف العمل في المناجم. وقام بزيارةٍ سريعةٍ إلى «ليفربول» Liverpool، وقضى شهر مارس في جنوب « يوركشاير » Yorkshire، مع بعض الوقت في « شيفيلد » Sheffield، و« بارنسلي » Barnsley.

وأعد تقريراً بعنوان « الطريق إلى ويجان بير » The Road to Wigand Pier»، والذي نُشر في مارس عام 1937م عن طريق دار نشر تُدعى « نادي الكتاب المتروك ». النصف الأوَّل من الكتاب هو عبارة عن توثيق لتحقيقاته الاجتماعيَّة في « لانكشاير » Lancashire ، و «يوركشاير»، مع وصف مثير للمشاعر لحياة العمل في مناجم الفحم. أمَّا النصف الثاني من الكتاب فهو عبارة عن مقال طويل عن بداية وتطوُّر حسَّه السياسي والذي يتضمَّن انتقادات لبعض الجماعات اليسارية. خاف « الناشر » أن يكون هذا الجزء من الكتاب مُهيناً للقُرَّاء فأضاف تبرئة في مقدمة الكتاب بينما كان « أورويل » في أسبانيا.

كانت قد بدأت الاضطرابات السياسيَّة في إسبانيا والتي تابع أحداثها «أورويل» عن كثبٍ. وبنهاية عام 1936م قرَّر الانضمام إلى الجمهوريين في الحرب الأهلية الإسبانيَّة متأثِّراً بثورة الفاشي «فرانسيسكو فرانكو» Francisco Franco(1892-1975). ثمَّ تقابل « أورويل » وعضو حزب العمال المستقل « جون مكنير» John McNair بمكتبه في « برشلونة » Barcelona والذي

أستشهد بقوله: «لقد جئت هنا لأحارب الفاشية ». تواجد « أورويل » في بقعةٍ سياسيةٍ ساخنةٍ في « كتالونيا» Catalonia، فالحكومة الجمهورية مدعومة بعددٍ من الفاشيين ذوي الأهداف المتضاربة بما في ذلك حزب العمال الماركسي الموحَّد واختصاره بالإسبانية (POUM)، والحزب الاشتراكي الموحَّد من « كتالونيا » (جناح من الحزب الشيوعي الإسباني، تدعمه الأسلحة والمساعدات السوفيتية). وكان حزب العمال المستقل مرتبط بحزب العمال الماركسي الموحَّد والذي انضم له « أورويل» لاحقاً.

قضى « أورويل » أياماً في المستشفى لتسمُّم يدّه، كما سُرقت معظم ممتلكاته في هذه الأثناء من قِبل أحد العاملين في المستشفى. ثُمَّ عاد إلي الجبهة ليشهد بعض التحرُّكات في هجومٍ ليليٍ على الخنادق القومية.

وفي إبريل عاد « أورويل » إلى « برشلونة » حيث تواصل مع صديق شيوعي له على علاقة بالمساعدة الطبية الإسبانيَّة، حيث شرح له وضعه وأبدى له رغبته في أن يرسل للجبهة المدريدية والانضمام إلى « اللواء الدولي ». وعلى الرغم بأنَّه لم يفكر كثيراً بالشيوعيين إلَّا أنَّه كان لا يزال باستطاعته اعتبارهم أصدقاء وحلفاء، وهذا ما سوف ينتهي قريباً.

في التاسع من شهر يونيو عام 1936م، تزوَّج « أورويل » من « إلين أوشافنسي» Ellen Ochavense. وقد عملت منذ عام 1942م مع وزارة الزراعة البريطانيَّة، وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية، بدأت « إلين » العمل في إدارة الرقابة على المصنفات في لندن. وفي عام 1944م تبني « أورويل » طفلاً سماه « ريتشارد بلير هوراشيو» Richard Blair Horatio ، حيث أقامت العائلة في لندن مع الطفل المُتبنَّي، ممَّا دعا « إلين » التخلي عن العمل لرعاية أسرتها. وعندما كان « أورويل» في باريس خضعت « إلين» لعمليةٍ جراحيةٍ لاستئصال الرحم. قالت « إلين » إنَّها لم تخبر «أورويل » عن العملية

بسبب مخاوفها بشأن التكاليف المالية، كما وإنَّها من المتوقع أن تتماثل للشفاء العاجل، ولكنَّها توفيت في29 مارس من عام 1945م.

في السنة التالية من وفاتها، حاول «أورويل » توظيف مُدبِّرة منزل تُدعىّ «سوزان واتسون » Susan Watson لرعاية أبنه بالتبني. وقد عمل « ريتشارد بلير » موظفاً في الحكومة البريطانيَّة كوكيل زراعي.

بعد عودة « أورويل » إلى الجبهة أُصيب في حنجرته برصاصة قناص، فقد كان ـ نسبياً ـ أطول من المُحاربين الأسبان، وقد كان حُذر من الوقوف ضدّ حاجز الخندق. كان « أورويل » لا يستطيع الكلام مع النزيف الغزير من فمه، فنُقل على حاملةٍ إلى « سيتامو » Sitamo في سيارة إسعاف، وبعد رحلة وعرة وصل إلى المستشفى في « لاردة » Lleida . تشافي « أورويل » بما فيه الكفاية ليُرسل إلى « طراغونة » Tarragona في 27 مايو عام1937 م، وبعدها بيومين أُرسل مصحة حزب العمال الماركسي الموحَّد في ضواحي « برشلونة ». بالكاد أخطأت الرصاصة شريانه الرئيس لتتركه بصوتٍ يكاد يكون مسموعاً.

تلقى العلاج الكهربائي وأعلن لياقته طبيًّا للعودة للخدمة. وبحلول منتصف يونيو تدهور الوضع السياسي في « برشلونة ». وكان حزب العمال الماركسي الموحَّد محظور وتحت الهجوم، وكان «جورج أورويل» وزوجته التي لحقت به مؤخراً تحت التهديد، لذا حاولا البقاء بعيداً عن الأنظار.

أخيراً، هرب « أورويل » وزوجته بالقطار من إسبانيا متوجهين إلى « بانيول سور مير» Banyuls-sur-Mer لإقامةٍ قصيرةٍ قبل أن يعودا إلى إنجلترا. وفي13 يوليو عام 1937م رُفعت دعوى قضائية على « أورويل » في محكمة « بلنسية » Valencia بتهمة التجسُّس والخيانة العظمى.

عاد « أورويل » من إسبانيا إلى إنجلترا في يونيو1937، وسكن في منزل عائلة

زوجته، بعد أن شارك في أحداث الحرب الأهليَّة الدامية، ورأي بعينيه مآسي الديكتاتورية، وشعر بضراوتها التي تفوق ضراوة الفقر،عندئذ كرس نفسه لمحاربة الطغيان. وأعلن أنَّه فَقَد ثقته في روسيا و«جوزيف ستالين» (1878-1953م). وقد بلور « أورويل » اتجاهه السياسي حين قال في مقالٍ له بعنوان: « لماذا أكتب ؟» Why do I write? : « قضيت خمس سنوات في عمل لا يناسبني، وعانيت من الفقر والإحساس بالفشل، وقد زاد ذلك من بغضي الطبيعي للسلطة، وأعطتني وظيفتي في بورما فهماً ما لطبيعة الإمبريالية ـ لكن ـ هذه الخبرات لم تكن كافية لتحديد اتجاهي السياسي، ثُمَّ جاء « أدولف هتلر » Adolf Hitler(1889-1945م)، والحرب الأهليَّة الإسبانية، هذه الحرب والحوادث التي تلتها حدَّدت اتجاهي السياسي، وعرفت أين أقف، فكُلِّ سطر من أعمالي منذ 1936م كتبته بأسلوبٍ أو بآخرٍ ضدّ الطُغيان والحكم المُطلق، ومع الاشتراكية الديمقراطية كما أفهمها ».

فكَّر « أورويل » في الذهاب إلى الهند للعمل في صحيفة « بايونير » Pioneer، ولكن تدهورت صحَّته في مارس 1938م، فأُدخل إلى مصحة قاعة «بريستون» Preston في «كنت» Kent ، وهي مصحَّة مُخصَّصة لمَنْ كانوا في الخدمة العسكريَّة، وقد شّخصوا حالته مبدئياً بأنَّه يُعاني من السَّل الرئوي.

أعدّ الروائي « ليو هاميلتون مايرز » Leo Hamilton Myers سرًّا لـ « أورويل» رحلة للمغرب الفرنسي لمدة نصف عام ليتجنَّب الشتاء الإنجليزي وليستعيد صحَّته، فتوجه وعائلته في سبتمبر 1938م إلى المغرب المُحتل من قِبل فرنسا عن طريق « جبل طارق »، و« طنجة »، حتى وصلوا إلى « مراكش ». وأثناء إقامتهم هناك كتب روايته الثالثة « الخروج إلى المتنفس » Coming up for Air.

دعا « ديفيد أستور » في فبراير1945م « أورويل » إلي أن يُصبح مراسلاً حربياً لصحيفة «الأوبزيرفر» The Observer. وكان « أورويل » يبحث عن فرصة طوال فترة الحرب، ولكن تقاريره الطبيَّة منعته من التواجد في أي مكان قرب

الأحداث السَّاخنة. بعدها ذهب إلى باريس بعد تحرير فرنسا وإلى « كولونيا » Cologne حينما كانت محتلة من قبل الحلفاء، ثُمَّ اتجه إلى لندن لتغطية الانتخابات العامَّة هناك وذلك مع بداية شهر يوليو 1945م، وقد كان كتاب « مزرعة الحيوان » Animal farm نُشر في بريطانيا في أغسطس من العام نفسه، وبعدها بعامٍ واحدٍ نُشر في الولايات المتحدة الأمريكيَّة. وقد لاقى الكتاب صدىً واسعاً في أنحاء العالم، فأكتسب «أورويل »شهرة كبيرة.

في عام1947 م رحل « أورويل » إلى « جزيرة جورا » Jura Island في فصل الشتاء حيث كان قد قارب الانتهاء من كتابه «1984». وفي شهر يناير عام1949 م أُصيب « أورويل» بحالة ضعف شديدة ممَّا استدعى نقله إلي إحدى المستشفيات. وفي خلال تلك الفترة صُدم زواره من ازدياد حالته سوءً لعدم فعالية العلاج الذي كان يتعاطاه، ولتأزُّم حالته المالية كذلك، لكن بعد فترةٍ استرد « أورويل » عافيته.

خلال الفترة من عام 1945م إلى1946 م، لم يُقدِّم « أورويل » أي أمل أو ترحيب للزوَّاج من الفتيات الصَّغيرات، ولكن في صيف عام 1949م وبعد محاولات غزلية من « أورويل » لجذب «سونيا برونويل» Sonia Brunwell، انتهى الأمر بإعلان زواج صيفي في سبتمبر من نفس العام، قبل فترة بسيطة من ذهابه المستشفى الجامعي في لندن. وإن المثير بالأمر أنَّ «أورويل» أقام حفلة زواجه بالغرفة (13) بالمستشفى في يوم 13 أكتوبر من عام 1949م. والجدير بالذكر أنَّ « سونيا برونويل» قد توفيت في 11ديسمبر من عام 1980م، عن عُمْر يناهز الثانية والستين.

في صباح يوم الحادي والعشرين من يناير عام1950 م تسبَّب انفجار أحد الشرايين الموصلة لرئتي « أورويل » في وفاته عن عُمْر يناهز السَّادسة والأربعين. لقد أوصى « أورويل » بدفنه وفقاً لتقاليد الكنيسة الإنجيليَّة في أقرب كنيسة له في المكان الذي يموت فيه، وقد أثار عدم وجود مكان شاغر في مقابر لندن قلق أرملته « سونيا برونويل »، وقد ناشدت المعارف والأصدقاء بالبحث عن مساحةٍ

في المقابر لزوجها الراحل على أن تكون في مُحيط لندن. « ديفيد أستور » David Astori وهو أحد معارف « أورويل » وقد عاش سابقاً في قرية « سيتون كورتيناي» Seaton Courtenay ، تفاوض مع أحد النواب من أجل دفن « أورويل » في مقبرة القديسين مع إنَّه لا يملك صلة بأي شكل مع القرية. وقد كُتبت هذه المرثية على شاهد قبره: « هنا يرقد إيريك آرثر بلير ، ولد في 25 يونيو 1903م، وتوفي في 21 يناير 1950م ». وليس هنالك ما يُشير لاسمه الآخر (جورج أورويل).

عمل « جورج أورويل » في مهنة التدريس قبل اشتغاله بالأدب والصحافة،ففي إبريل من عام 1932م أصبح مُعلِّماً في مدرسة « هاوثورن » Hawthorne الثانوية وهي مدرسة تحضيرية للأولاد غرب لندن، وكانت مدرسة صغيرة خاصَّة لتعليم أبناء التجار المحليين. وفي صيف عام 1933م غادر «أورويل» مدرسة «هاوثورن» ليصبح مُعلِّماً في كلية «فريز»، في « أوكسبريدج» Uxbridge،غرب لندن. وكانت الكلية المنشئة تضم200 تلميذاً ومجموعة كاملة من الموظفين.

ثُمَّ أمتهن مهنة الصحافة، فكان كاتب مقال فذ، بل إنَّ البعض يري أنَّ مقالاته كانت في بعض الأحيان أقوي من رواياته، وقد عبَّر فيها عن نفسه أكثر ممَّا عبَّر في رواياته، فكانت بذلك إطاراً لتحليل معظم أعماله، وحملت أيضاً روحه التهكمية السَّاخرة، ويُقال إنَّ « أورويل » تأثَّر كثيراً بالكاتب اللَّاذع « جوناثان سويفت » (1667-1745م)، لكن «أورويل » يفوق « سويفت » في دهاء سخريته وذكاء تهكمه.

في نهاية عام1936 م توجه « أورويل » إلى إسبانيا ليعمل مراسلاً صحافياً، وقد دوَّن خبراته التي عاشها في الحرب الإسبانيَّة في كتاب أصدره عام 1938م، بعنوان: « تحية إلى كتالونيا » Homage to Catalonia.

وفي عام1941 م التحق بالقسم الهندي بهيئة الإذاعة البريطانيَّة BBC، وفيها قدَّم « أورويل» برنامج « الصوت » the sound وهو أحد البرامج الأدبيَّة الإذاعيَّة

الهنديَّة، وقد أصبح هذا البرنامج أحد أكبر البرامج الذي يعرض الحياة الاجتماعيَّة لبعض أصدقائه الأدباء. ثُمَّ ترك عمله عام 1943م بالإذاعة البريطانيَّة ليعمل مُحرِّراً أدبيًّا بصحيفة « تريبيون » Tribune، وهي مجلة أسبوعية يسارية تابعة لحزب العمال البريطاني. ثُمَّ أصبح مُحرِّراً دائماً في « الأوبزيرفر». وفي نوفمبر من عام1943 م، تمَّ تعيين « أورويل » رئيساً لتحرير المجلة الأدبيَّة «المنبر» ، حيث كان له عمود مقالة أسبوعي،يحمل عنوان: « قلت من فضلك » Like I said please.

وعلي الصفحات التالية نقدِّم قراءة سريعة لأهم أعمال « جورج أورويل » الروائية: في عام 1922م بدأ « أورويل » في كتابة نصّه الروائي المتميِّز « السقوط والخروج في باريس ولندن » Down And Out In Paris And London، ولكنَّه لم يُنشر إلَّا في عام 1933م، وهو عبارة عن تقرير عن تلك الفترات التي عاشها في كُلٍّ من لندن وباريس بين الفقراء. وقد نشره باسمه المستعار. يُلاحظ أنَّ الجزء الأوَّل من الكتاب الذي يصور تجربته في باريس يشع فيه المرح والحيوية، بينما الجزء الثاني منه الذي يصور حياته في لندن يتسم بالاكتئاب، والسبب أنَّه في باريس واجه الفقر فقط، بينما في لندن واجه الفقر والإذلال معاً.

يناقش « أورويل » الدلالات الإنسانيَّة، والجماليَّة، والثقافيَّة الملازمة لتجربة التشرُّد والضياع في المجتمعات المدنية الراقية من خلال تداعيات النماذج الشخصيَّة الفريدة للمتشرِّدين، و القوَّى المتضادة التي تتنازعها، مثل: الحتميات الشمولية المُحدِّدة للوضع الاجتماعي، والبحث المستمر عن وجود إنساني فردي من داخل فضاءات تشبه الجحيم، دون أن يلجأ « أورويل » لاستبطان المتشرِّد من الداخل، أو يُحيل القارئ إلى حالات الكآبة، أو الحزن، أو الصَّمت؛ فقد حرص على الاحتفاء بالحياة الإنسانيَّة بحدِّ ذاتها في المتشرِّد، وفي أساليبه الحياتية، و قدرته على الأداء الديناميكي في التعامُل مع مشكلات الجوع، و العمل، و أماكن السكن، والنظافة، وغير ذلك.

وفي عام1934 نشر كتابه الثاني « أيام بورما » Burmese Days، الذي تناول فيه خبراته في فترة الخدمة الاستعمارية في بورما (تعرف أيضاً باسم ميانمار. هي إحدى دول جنوب شرق آسيا. قد نالت استقلالها في عام 1948م، وانفصلت عن الاستعمار البريطاني). وفي عام 1935م كتب روايته « ابنة رجل دين » A Clergyman›s Daughter. وقد تطرَّق فيها لحياته كمُعلِّم، ولحياته أيضاً في « ساوث وولد ». لم يكن « أورويل » راضياً عن هذه الرواية حتى أنَّه رفض إعادة نشرها، وامتنع عن إدراجها في قائمة كتبه المنشورة، بل يُقال أنَّه اشتري جميع النسخ التي وجدها في المكتبات ثُمَّ قام بإعدامها !!

ثُمَّ كتب رواية « دع الزنبقة تطير» Keep The Aspidistra Flying، التي نُشرت في عام1936 م. ولم يكن « أورويل » راضياً عنها كسابقتها. تتميَّز هذه الرواية بأنَّ مؤلِّفها قد وضع فيها سيرته الذاتية أكثر من أيّة رواية أخري، وهي تتناول تلك الفترة من حياته في الثلاثينيات من القرن المنصرم، التي كان فيها في أمس الحاجة إلي المال. وقد أسعده أن تصله عدة خطابات من القُرَّاء يعترفون فيها بأنَّهم مروا بتجاربٍ مماثلةٍ. وترمز الزنبقة أو نبات « الإسبدسترا » asbestos إلي قيم المجتمع البرجوازي المادية المتمثلة في النجاح في جمع المال.

وفي عام1937 نشر كتابه: « الطريق إلى ويجان بير » The Road to Wigan Pier ، حيث انتقد فيه كلاً من النظام الطبقي الإنجليزي والاشتراكية الإنجليزيَّة، التي اتهمها بأنَّها غير واقعية، وأنَّ مُعظم المؤمنين بها يميلون للانتماء إلى الطبقة الوسطى، وسخر فيه من أولئك الذين يتشدقون بعباراتٍ، مثل: « التماسُك البروليتاري »، وأولئك الذين يحقرون من شأن النَّاس البسطاء الكرماء الذين يرى « أورويل » أنَّهم الأجدر بأن يتوجه إليهم بكتاباته.

وقد جاء الكتاب كخطوةٍ أولي نحو ما سمّاه النُقَّاد: « التمرُّس بالكتابة التي تهدف إلي شن الحرب بالكلمات »، والمقصود بذلك هو ترسيخ وجهة نظر مُعيَّنة في ذهن القارئ، والكتابة حول مسألة يشعر كاتبها أنَّه من الضروري أن ينحاز إلي جانب

ضدّ آخر، وقد توفرت في هذا الكتاب، والكتب التالية تلك المزايّا التي تتطلَّبها الحرب بالكلمات،وهي:الإلحاح والجِدّة والوضوح والفكاهة التي تختلط جميعاً في مزيجٍ منسجمٍ متوافق تماماً.

أمَّاكتابه « تحية إلى كتالونيا » Homage to Catalonia، والذي نُشر في عام1938م، فكان ضمن رصيد خبراته في الحرب الأهلية الإسبانيَّة. يتجنَّب «أورويل » أيّة محاولة لخلق الإثارة والحماس للحرب في وجدان جمهوره، كما أنَّه يتجنَّب أن يجعل من نفسه بطلاً، لكن هذا لا يتعارض من كون « أورويل » وُلِد ليكون مقاتلاً، وتوضح لنا حياته في « بورما »، واشتراكه في الحرب الأهلية الإسبانيَّة علي وجه الخصوص، مدي تأصُّل روح النضال والقتال فيه. وكان «أورويل» قد سافر إلي إسبانيا لمراقبة أحداث الحرب الأهليَّة ونقل أخبارها كمراسلٍ صحافي، لكنَّه بدلاً من ذلك تطوَّع مثل الكثيرين من الأوروبيين في صفوف المحاربين من أجل الحُرِّيَّة والديمقراطية، وتُمثِّل الحرب الإسبانية نقطة تحوُّل في حياة « أورويل » لأنَّه اكتشف أنَّ الشيوعية التي كان يُحارب في صفوفها ليست أقلّ عُنفاً من ديكتاتورية « فرانكو » التي كان يُحارب ضدَّها، ويقول « أورويل » عن كتابه هذا: « .. إنَّه كتاب سياسي صريح لكنني كتبهُ بقدرٍ من الموضوعية والعناية بالشكل ». وتكمن أهمية تجربته الإسبانيَّة في أنَّها أصابته بخيبة أمل شديدة في اليسار وصلت إلي حدِّ القطيعة الكاملة له.

ثُمَّ ظهرت روايته الأثيرة إلي قلبه « الخروج إلي المُتَنَفس »Coming up for Air عام1939 م، وهي الرواية الأخيرة لـ « أورويل » التي كتبها قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية، وتنبأ فيها بقيام هذه الحرب في فترةٍ تتراوح بين خمسة أعوام وعام واحد، ولم تمض شهور علي صدور الرواية حتى أثبتت الأيام صدق نبوءته، وتتمثَّل هذه النبوءة في قنبلةٍ تسقط بمحض الصدفة علي بلدة « بنفيلد » Penfilled فتقتل شخصاً وتصيب آخر. وتُعتبر هذه الرواية من أكثر رواياته إظهاراً للثقافة والمظاهر

الإنجليزيَّة، حيث تختلط مظاهر الطفولة المثالية مع الحياة القاسية. الرواية لا تبعث على التفاؤل حيث الرأسمالية والثورة الصناعية التي قتلت ماضي انجلترا العريق، وهذا المقطع من الرواية على لسان أحد أبطالها يُدلِّل علي ذلك: هتلر شيء مختلف وكذلك ستالين، فهم ليسو هؤلاء الذين كانوا يقطعون الرؤوس لمُجرَّد المتعة، إنَّهم شيء مختلف لم يُسمع به من قبل » !!

أمَّا رواية « مزرعة الحيوان »Animal Farm فقد نُشرت في عام1945 م. والتي نُقدِّمها للقُرَّاء الأعزاء، فقد كان العنوان الأصلي للرواية، هو : Animal Farm: A fairy story، أي: « مزرعة الحيوان: رواية خيالية » قد أغفله الناشر الأمريكي في طبعة 1946م. كتب «جورج أورويل » مخطوطة الرواية بين عامي1943 م و 1944م بعد تجربة مرّ بها في الحرب الأهليَّة الإسبانيَّة. ويُقال أنّ « أورويل » أنفق خمس سنوات ليتوصل إلي شكلٍ فنّيٍ ملائم لفكرة الرواية، وأربعة أشهر فقط ليدوِّن الرواية علي الورق بسرعةٍ مذهلةٍ.

في مقدمة طبعة « أوكرانية » التي صدرت في عام 1947م للرواية شرح «أورويل » كيف أنَّ نجاته من التطهيرات الشيوعية في إسبانيا علَّمته: « مدى سهولة سيطرة (البروباجاندا) propaganda الشمولية على عقول المستنيرين في البلاد الديمقراطية »، و قد حفَّزه هذا على فضح وإدانة ما رآه الإفساد « الاستاليني» للمبادئ الثورية الاشتراكيَّة. وفي المقدمة ذاتها يصف الكيفية التي ألهمته أن يجعل أحداث القصَّة تدور في مزرعةٍ، فيقول: « .. رأيت فتىً صغيراً، ربما في العاشرة، يقود عربة حصان على طريق ضيق و يضرب الحصان بالسوط كُلَّما حاول الدوران، و قد صدمني أنَّه لو وعت الحيوانات مقدار قوَّتها فلن يكون لنا سلطان عليها، وإنَّ الإنسان يستغل الحيوانات بذات كيفية استغلال الأغنياء للبروليتاريا ». (يقصد الفيلسوف والاقتصادي الألماني « كارل ماركس » Karl Marx (1818-1883م) بالبروليتاريا الطبقة التي لا تملك أي وسائل إنتاج وتعيش من بيع مجهودها العضلي أو الفكري).

واجهت « أورويل » صعوبات جمَّة في محاولات طباعة المخطوط، إذ رفضها أربعة ناشرون، وقد نشرت دار نشر « سيكر و واربيرج » Secker and Warburg الطبعة الأوَّلى من الرواية عام 1945م.

أثناء الحرب العالمية الثانية اتضح لـ « جورج أورويل » أنَّ الكتابات المُضادة للسوفيتية سوف لا تروق لمعظم الناشرين، بمَنْ فيهم ناشره المعتاد « فيكتور كولانش» Victor Culanche ذي الميول اليسارية. كما أنَّه قدَّم مخطوطة الرواية إلى دار نشر تُدعي « فابر و فابر » Faber and Faber حيث رفضها الشاعر« ت. س. إليوت» T. s. Elliot (1888-1965م) الذي كان مديراً لها. وقد كتب «إليوت» إلى « أورويل » ممتدحاً: « حُسن كتابتها، وأساساتها السليمة»، وموضحاً أنَّهم كان بإمكانهم قبولها للنشر لو كانوا متقبلين وجهة النظر التي رأوها نازعة إلى «التروتسكية» (تيار شيوعي وُضع على يد « ليون تروتسكي »(1879-1940م) ، كما قال « إليوت » أنَّ الرؤية لم تكن مقنعة له، إذ رأى أنَّ الخنازير كانوا الأكثر ملائمة لإدارة المزرعة، وإنَّ المطلوب لإنجاح التجربة ربما لم يكن « خنازير شيوعيون »، بل « خنازير ذوي حس بالشأن العام ».

كما كان ناشرٌ آخر ممَّن لجأ إليهم « أورويل » أثناء الحرب قد قَبِل الرواية مبدئيًّا، ثُمَّ رفضها لاحقاً بعد أن حذره مسؤول في وزارة الإرشاد البريطانيَّة من مغبة فعل ذلك، و قد اتضح فيما بعد أنَّ ذلك المسؤول كان جاسوساً سوفيتيًّا. و قد كتب ذلك الناشر إلى « أورويل »، يقول: « لو أنَّ القصَّة كانت تتناول الديكتاتوريين والديكتاتوريات على العموم لما كان في نشرها شيء، لكن القصَّة تتبع ـ على ما يبدو لي ـ مسار السوفيت الروس وديكتاتورييهم لينين، وستالين بحيث لا تنطبق سوى على روسيا و تستثني الديكتاتوريات الأخرى. و شيء آخر: لكان الأمر أقلّ مُدعاة للعداوة لو كانت الطبقة المُسيطرة في القصَّة غير الخنازير. أرى أنَّ تصوير الخنازير كطبقةٍ حاكمةٍ سيغضب بلا شك كثيرين، و خصوصًا سريعي التأثُّر، مثل الروس ».

في المعسكر الشرقي كانت كلاً من روايتي: « مزرعة الحيوان »، و من بعدها رواية « 1984» مدرجتين في قائمة الكتب المحظورة في « ألمانيا الشرقية » حتي عام1989 ، و لم تكن قبلها متاحة سوى عبر شبكات سرية. وفي عام 1947م عُدَّت الطبعة « الأوكرانية » مثالاً مبكراً على الاستخدام الدعائي للرواية، فقد طُبِعَت و وُزِّعَت بين المواطنين السوفيت الأوكرانيين الذين كان كثير منهم مُهَجَّرين بانتهاء الحرب العالمية الثانية.

تركت رواية « مزرعة الحيوان » أثراً ثقافيًّا كبيراً، فقد اختارت « مجلة تايم» Time Magazine الأمريكيَّة الرواية كواحدةٍ من أفضل مئة رواية بالإنجليزيَّة (منذ1923 م حتى الآن). وجاء ترتيبها رقم (31) في قائمة أفضل روايات القرن العشرين التي أعدتها دار نشر «المكتبة الحديثة » Modern Library ، كما ضُمِّنت في مجموعة « ذخائر كتب العالم الغربي» Great Books of the Western World، التي تنشرها شركة الموسوعة البريطانيَّة. وترجمت الرواية حتى الآن إلي (39) لُغة، كما ترجمها إلى اللُّغة العربيَّة مترجمون كثيرون، و نُشرت في طبعاتٍ كاملةٍ، ومختصرةٍ، و بتصرُّفٍ، فعلي سبيل المثال: ترجمتها « رنا إسكندر»، عن « دار الفكر العربي » في « بيروت »، وأخرى ترجمها « د. نبيل راغب »، عن «دار غريب » في « القاهرة ».

كما اقتبس موضوع الرواية في أعمالٍ أدبية و سينمائية عديدة، و كان لها أثر على المشهد الثقافي خاصَّة في أوروبا و الولايات المتحدة الأمريكيَّة، و استلهمها فنانون و مبدعون في أعمالٍ فنيَّةٍ في مختلف الوسائط و المجالات. فقد تحوَّل موضوع الرواية إلي فيلمين بريطانيين، أوَّلهما فيلم: « تحريك » الذي تمَّ إنتاجه في عام1954 م، و « الآخر» عام1999 م، وكلاهما فيه اختلاف عن الرواية، ففي الفيلم الأوَّل تنقلب الحيوانات على الطاغية نابليون في ثورةٍ ثانيةٍ، أمَّا في الثاني فيتداعى النظام من تلقاء نفسه كما حدث للاتحاد السوفيتي. وقد بيع منها أكثر من مليون نسخة.

تُظهر رواية « مزرعة الحيوان » تقدُّماً أعظم أحرزه « أورويل » في تطوير أسلوبه النثري، ويري النُقَّاد أنَّ اختياره لقصَّص الحيوان الرمزي السَّاخر كان هو ما يحتاج إليه بالضبط، لأنَّ رسمه للشخصيَّات كان غالباً ضعيفاً إلي حدٍّ ما، والحيوانات الرمزية المُسطحة لا تحتاج من مؤلِّفها أن يُصورِّها بعمقٍ، وقد أمدَّه هذا الشكل الرمزي لأدب الحيوان بالحيادية والموضوعية، ولاشك أنَّ معرفته الوثيقة بالحيوان وحُبَّه العظيم له قد أسهما بدرجةٍ كبيرةٍ في نجاحه بإقناعنا أنّ مزرعته حقيقية.

مزج « جورج أورويل » في الرواية بين الحسّ السياسي والمُعالجة الجماليَّة، وقد نجح في ذلك فهو يري أنَّ الدافع الجمالي من أهم دوافع الكتابة لديه، ولابدّ للكاتب أن يُدرِّك الجمال المُحيط به، وأن يُعبِّر عنه في شعرٍ أو نثرٍ جميلٍ، وبالتالي يُشرك القُرَّاء في شيءٍ يمتلكه، فيحسون أنَّه ذو قيمة.

وهو يقول في تصديره للرواية: « مع إنَّ الحكايات المُتعدِّدة مأخوذة من التاريخ الواقعي للثورة الروسيَّة، إلَّا أنَّني عالجتها بطريقةٍ تخطيطيةٍ، وغيّرت من ترتيبها الزمني، لأنَّ هذا كان ضرورياً لتنسيق القصَّة، غير أنَّه من الواضح تماماً أنَّها تحكي تاريخ روسيا الشيوعيَّة منذ ثورة أكتوبر1917م حتى مؤتمر طهران في نهاية عام1943م».

هذا، وتُعد الرواية مثالاً من الأدب التحذيري على الحركات السياسيّة و الاجتماعيَّة التي تطيح بالحكومات و المؤسَّسات الفاسدة و غير الديمقراطية، إلَّا أنَّها تؤول إلى الفساد و القهر هي ذاتها، وذلك بسقوطها في كبوات السلطة فتستخدم أساليب عنيفة و ديكتاتورية للاحتفاظ بها، و قد ضرب « أورويل » أمثلة واقعية من المستعمرات الإفريقية السَّابقة،مثل: زمبابوي، وجمهورية الكونغو الديمقراطية التي تولى عليها رؤساء محليون كانوا أكثر فساداً و طغياناً من المستعمرين الأوربيين الذين كانوا قد طردوهم.

وتُعد الرواية إسقاط على الأحداث التي سبقت عهد « ستالين » و خلاله قبل الحرب العالمية الثانية، فقد كان « أورويل » اشتراكيًّا ديمُقراطيًّا، وعضواً في حزب العمال المستقلين البريطاني لسنواتٍ، ومُتشكِّكاً في السياسات الستالينية النابعة من موسكو بعد تجربة له مع المفوضية الشعبيَّة للشؤون الداخلية في الحرب الأهليَّة الإسبانيَّة، و هي جهاز الشرطة السرية و العلنية السوفيتي الذي مارس إرهاب الدولة والقمع السياسي في عهد « ستالين ». وقد وصف «أورويل» روايته بأنها : contre Stalin (أي مناهضة ستالين).

وينبئ لجوء كُلّ من الخنازير والبشر إلي الغش في لّعب الورق في الفصل الأخير من الرواية بالخلاف القادم في مستقبل العلاقات بين الغرب وروسيا، بعد أن يتمّ لهما القضاء علي « قوات المحور » (قوات دول المحور في الحرب العالمية الثانية 1938-1945م)، تضم أساسا ألمانيا النازية بقيادة « أدولف هتلر»، وإيطاليا بقيادة «بينيتو موسوليني » Benito Mussolini، (1883-1945م)، ثُمَّ انضمت إليهم اليابان بقصفها لميناء « بيرل هاربور » Pearl Harbor الأمريكي، وانضم إليهم دول أخرى، مثل: النمسا ورومانيا وبلغاريا والمجر، وهو ما حدث بالفعل.

المفارقة الكبرى في الرواية تكمن في أنَّها تتضمَّن مضموناً كئيباً قاتماً، بينما شكلها الروائي يتّسم بالدُعابة والهزل، كما أنَّ اليأس الذي تنطوي عليه الحكاية مُغلَّف بشكلٍ جذّابٍ لدرجة أنَّ القارئ قد ينخدع بظاهرها المبهج فينسي أو يتجاهل ما فيها من تشاؤم فظيع مروع !!

أمَّا رواية « 1984» التي شرفنا بتقديمها للقُرَّاء الأعزاء في مصر والعالم العربي، والتي صدرت عن « دار الطلائع للطبع والنشر والتوزيع »، في عام 2019م، فقد كان عنوانها الأصلي هو : «آخر رجل في أوروبا »، ولكن الناشر اقترح علي « أورويل» تغييره، فأصبح اسمها Nineteen Eighty-Four، الذي تحوَّل إلي « 1984 ».

وهناك العديد من الاجتهادات التي تحاول تفسير سبب اختياره لعام «1984 » بالضبط كي يكون عنواناً للرواية, إلَّا أنَّها كلَّها غير مؤكَّدة, والاقتناع السَّائد الذي يُذكر- غالباً - بهذا الخصوص أنَّ عنوان الرواية هو عكس لآخر رقمين من سنة 1948, وهي السنة التي أتم فيها « أورويل » كتابة الرواية، والتي استغرقت كتابتها ثلاث سنوات بداية من عام 1945م, حتى يونيو 1948م تاريخ نشرها.

وليس من قبيل الميلودراما ما قيل أنَّ « أورويل » أجهد نفسه حتى الموت كي ينتهي من كتابتها بحيث أنَّه في سبيل إتمامها لم يسمح لنفسه بأي قسطٍ من الرَّاحة، كما أنَّه أهمل استشارة الطبيب لمُعالجته من مرض السل الذي أصبح يُهدِّد حياته تهديداً خطيراً.

عندما صدرت الرواية كانت تُعد من الروايات الثورية والخطرة سياسيًّا، ممَّا أدي إلي منع تداولها في عددٍ من الدول التي كانت محكومة بحكومات شمولية كروسيا وحتى غيرها من الدول الأخرى. وبالرغم من ذلك لقيت الرواية نجاحاً هائلاً حتى قبل نشرها ففي بريطانيا وحدها بلغ إجمالي مبيعات نسخ الكتب المحجوزة قبل النشر(11) ألف نسخة، ووصل عدد نسخ أول طبعة بريطانية إلي (30) ألف نسخة.

وقد تمَّ ترجمة الرواية إلي (62) لُغة منها العربيَّة والفرنسيَّة والإسبانيَّة وغيرها. وقد اختارت «مجلة تايم » الرواية كواحدةٍ من أفضل مائة رواية مكتوبة بالإنجليزيَّة منذ عام 1923م وحتى الآن، كما حدث مع رواية « مزرعة الحيوان ». تمَّ تحويل الرواية إلي فيلمٍ سينمائي، وقد كان توقيت عرض الفيلم مثيراً جدًّا، فقد صدر الفيلم في عام 1984م.

الرواية تدور في إطارٍ تخيُّلي ولكنه مستقبلي، يماثل فيه « أورويل » بين كافة أشكال الأنظمة الاستبدادية، سواء: الشيوعية أو النازية والفاشية وبين عالمه المُتخيَّل، ذلك القائم على نظام الحزب الواحد الذي يتحكَّم في حياة النَّاس

وضمائرهم. فسَّر الرواية البعض علي أنَّها تتحدَّث عمَّا يحدث في الاتحاد السوفيتي الشيوعي, وأنّ« أورويل » يُشير إلى « ستالين » عندما يتحدَّث عن «الأخ الأكبر», لكن الأرجح أنَّ « أورويل » ببصيرةٍ وعبقريةٍ مدهشتين إنَّما يتحدَّث عن المستقبل, ويتكلم عن خوفه من الأنظمة الشمولية عموماً,والتي ستستخدم التكنولوجيا والإعلام لطمس وتغيير الحقائق, ولتوجيه النَّاس بحسب رغبتهم عبر عملية « غسيل الدماغ » Brainwashing المكثف, وهو الحادث في يومنا هذا, وحتى في أكثر البلاد التي يمكن أن نصفها بالديمقراطية. وقد قال الكاتب الأمريكي « نعوم تشومسكى » Noam Chomsky: «نعم، إنَّ نبوءات أورويل قد تحقَّقت، وإنَّ ما حذرنا منه قد وقع بالفعل، على الأقلِّ في جوهره».

والرواية ليست مُجرَّد هجوم علي النظم الشمولية لأنَّ مدلولها أعمق واشمل من هذا بكثير، فهي تنطوي علي تحذير للديمقراطيات الغربيَّة بأنَّها ليست في مأمنٍ من اندفاع العالم الحديث نحو تلك الأنظمة، بحيث يمكن القول بأنَّ هذه الرواية لونٌ من ألوان المدن الفاضلة المعكوسة، أو «اليوتوبيات التحذيرية »، في مُقابل «اليوتوبيات المثالية » التي يحلم مؤلِّفوها بأن تصل إليها الإنسانيَّة يوماً ما.

ويمكننا القول بأنَّ « أورويل » في روايته هذه إنَّما كان يتنبأ بمصير العالم الذي ستحكمه قوَّى كبري تتقاسم مساحته وسكانه، ولا تُحقق أحلامهم، أو تلبي طموحاتهم، بل تحوِّلهم إلى مُجرَّد أرقام في جمهوريات « الأخ الأكبر»، الذي يُراقب كُلّ شيء، ويعرف كُلّ شيء، فحكمه هو الحكم الشمولي بعينه. لقد وصف « جورج أورويل » بشكلٍ دقيقٍ تحوُّل القيم البشريَّة إلى أشياءٍ هامشيةٍ، ومن ثمَّ سطوة الأحزاب السلطويَّة والشموليَّة على النَّاس والشعوب ومقدراتهم، ليصيروا في النهاية بلا مشاعر ولا عواطف، يفتقدون الآمال والأحلام، ويعملون كالآلات الخرقاء خوفاً من هذا « الأخ الأكبر » الذي يُراقبهم على مدار السَّاعة !!

تأثيرٌ كبيرٌ تركته رواية «1984 »علي قصَّصٍ ورواياتٍ ظهرت بعدها، فقد أثَّرت في رواية «فهرنهايت 451 » للأديب الأمريكي «راي برادبري» Ray Bradbury (1920-2012م)، و«الرَّجل الراكض » للكاتب الأمريكي « ستيفن كينج» Stephen King (المتوفى في عام 1948م)، و« البرتقالة الآلية » للكاتب الإنجليزي «أنتوني بيرجس ».

ومن جهةٍ أخري تأثّر« جورج أورويل » أثناء كتابته رواية « 1984»، بروايتين، الرواية الأوَّلي: « نحن » للأديب الروسي « يفنجي زامياتين » Yinggi Zamiatin (المتوفى في عام 1937م)، ورواية « عالم جديد شجاع »، للكاتب الإنجليزي «ألدوس هكسلي» Aldous Huxley(1894-1963م)، والروايتان تصف تمرُّد العقل البشري البدائي علي عالمٍ غير عقلاني، كما أنَّ الأحداث فيهما تجري في المستقبل.

أيضاً كان لرواية « 1984 » تأثير كبير على اللُّغة الإنجليزيَّة، فقد شاع استخدام العديد من المفردات التي ابتكرت في هذه الرواية مثل: « الأخ الأكبر » Big Brother, « الغرفة 101 » Room 101, « شرطة الفكر » Thought police, «التفكير المزدوج » Doublethink. وقد يكون «أورويل » هو أوَّل مَنْ استخدم مصطلح « الحرب الباردة » cold War في مقالته « أنتم والقنبلة الذرية » You and the atomic bomb التي نشرت في صحيفة « المنبر » في 19 أكتوبر عام 1945م.

وختاماً نعيش مع بعض أقوال « جورج أورويل »الخالدة:

* في وقت الخداع العالمي يصبح قول الحقيقة عملاً ثوريًّا.
* من خلال الثورة نصبح أنفسنا أكثر وليس أقلّ.
* إن كان التحرُّر يعنى شيئاً فهو الحق في أن تقول للنَّاس ما لا يَودُّون سماعه.
* تصدر كُلّ دعاية الحرب والصراخ والكذب والكراهية عمَّن لا يحاربون.

* إذا أردت إلقاء نظرة على المستقبل فتخيَّل حذاء يطأ وجه إنسان.. إلى الأبد.

* في سن الخمسين يكون لكُلِّ شخص الوجه الذي يستحقه.

* يتخيَّل كُلّ جيل أنَّه أذكى من الذي سبقه، وأكثر حكمة من الذي يليه.

* لقد لاحظت في مرحلةٍ مبكرةٍ من حياتي أنَّ الصحف لا تنقل أبداً أي حدث كما حدث فعلاً.

* أحياناً يكون الواجب الأوَّل للذكي أن يُعيد ذِكر الحقائق الجلية.

* لا يمكن أن تتواجد السَّعادة إلَّا في الرِّضا.

* قد نكتشف على المدىّ الطويل أنَّ الطعام المُعلَّب سلاح أكثر فتكاً من البنادق الآلية.

*كُلُّ الحيوانات سواسية، لكن بعضهم أكثر مساواة من البعض الآخر.

* الدعاية: قعقعة عصا داخل صندوق قمامة.

* إذا كان الفكر يُفسد اللُّغة، فبإمكان اللُّغة كذلك أن تُفسد الفكر.

* يُفترض أن تكون اللُّغة نتاجاً مشتركاً للشعراء والعمال اليدويين.

* التقدُّم ليس وهماً،فهو يحدث كُلّ يوم، لكنه بطيء ومُحبط للغاية.

* الرياضة الجادة حرب من دون إطلاق النَّار.

* ليس هدف النكات الحط من قدر الإنسان، بل تذكيره أنَّه منحط بالفعل.

* مَنْ يتحكَّم في الماضي يتحكَّم في المستقبل، ومَنْ يتحكَّم في الحاضر يتحكَّم في الماضي.

مادة علمية

وفيق صفوت مختار

أحداث رواية

مزرعة الحيوان

الفصل الأول

البشر جميعاً أعداؤنا !!

Humans are all our enemies !!

مستر « جونز» صاحب مزرعة « مانور » أغلق الباب الخارجي للحظائر كعادته دائماً عند المساء، إلَّا أنَّه كان ثملاً للغاية، حتي إنَّه نسي أن يقوم بغلق الحظائر المختلفة لجميع حيوانات المزرعة !

وعلي ضوء مصباحه الذي بدا يتراقص من أثر الريح اجتاز الفناء، وقذف بحذائه عند الباب الخلفي لبيته، وسكب لنفسه آخر ما في البرميل من جعةٍ[1] وقد شرب كأسه بالمطبخ، ثُمَّ انسحب إلي حجرة نومه بالدور العلوي حيث كانت زوجته تغط في نومٍ عميقٍ.

وما كاد نور حجرته ينطفئ حتي اندفع صخب في أنحاء المزرعة؛ فقد وصل إلي علم الحيوانات في أثناء النَّهار أنَّ الخنزير العجوز الحكيم «ماجور» الحائز علي جائزة معرض «ويلنجدون » قد واتاه في اللَّيلة الماضية حلم غريب رأي أن يُذيعه

(1) جِعةٌ: نبيذُ الشعير والقمحِ، وتُطلق اليَوم على « البيرة ». (المُعد).

علي جميع حيوانات المزرعة، حيث كان من المتفق عليه أن يجتمعوا في الحظيرة الكبيرة عند حلول اللَّيل بعد نوم مستر« جونز».

ولقد كان « ماجور » العجوز خنزيراً مرموقاً بالمزرعة، وكان الاسم الذي عُرض به حين حاز الجائزة هو: « فتي ويلنجدون الجميل » ! وكان يسعد الحيوانات جميعها أن تستمع إليه وإن ضحت في سبيل ذلك بساعةٍ من نومها؛ وفي نهاية الحظيرة الكبيرة اعتلي « ماجور » كومة من القش وقد اكتست علي وجهه سمات الطيبة ومظاهر المهابة والوقار والحكمة !

وقد زاد هذه السمات حضوراً وتبلوراً, أنيابه البارزة الطويلة بعد أن ناهز من عُمْره الأنثى عشر عاماً.

وتوالي حضور الحيوانات, واختيار الأماكن المناسبة تأهُّباً للاستماع المرتقب, وقد بادرت بالحضور الكلاب الثلاثة: « بلوبل »، و « جيسي »، و« بنشر », وخنازير الحظيرة التي تربعت عند مجيئها علي القش الذي يلي منصة « ماجور» مباشرة, كما تجمَّع الدجاج علي أفاريز[1] الشبابيك, وحط الحمام علي العروق الخشبيَّة لسقف الحظيرة، ورقدت الأغنام والبقر خلف الخنازير وقد تحرَّكت أفواهها وهي تجتر غذاءها, ثُمَّ أقبل « بوكسر »، و « كلوفر » حصانا الجرّ بالمزرعة, وكانا علي حذرٍ حينما تربعا علي القش خشية أن يدهما كائناً من الحيوانات الصَّغيرة التي ربما اختفت في غياهب القش!

و« كلوفر » فرسٌ تقترب من منتصف عُمْرها تبدو عليها طبية الأُمّ, ممتلئةٌ لم تستطعْ أن تستعيد رشاقتها الأولي بعد أن وضعت مولودها الرابع.

أمَّا « بوكسر » فهو حصانٌ ضخمٌ مرتفع القامة, يبلغ من القوَّة ما لا تتاح لحصانين

---

(1) أفاريز: مفردها إفريز، وإفريزُ الحائط ونحوه هو: ما أَشرف منه خارجاً عن البناء، وهو عبارة عن جزءٍ بسيط مزخرف بيّن الحِلْية المعماريَّة. أمَّا إفريز الصُّورة فهو: بروازها، أو إطارها الخارجيّ. (المُعد).

مجتمعين معاً, وتحت أنفه شامة[1] بيضاء تضفي عليه سمات الغباء ! ولقد كان في الواقع يتميَّز بسطحية التفكير, وإنْ استطاع أن يكتسب لنفسه احترام زملائه من الحيوانات الأخري نظراً لطاقته الضخمة في العمل, وما يتمتَّع به من أخلاق عريقة نبيلة.

ثُمَّ أقبلت بعد ذلك « موريل » العنزة البيضاء, و« بنيامين » حمار المزرعة، وكان « بنيامين » هذا أطول حيوانات المزرعة عُمْراً وأسوأهم طبعاً, نادر الكلام، فإن تكلَّم فهو يُظهر تهكمه، فهو ربما يقول : إنَّه يدرك أنَّ الله قد مَنّ عليه بالذيل لكي يهش به الذباب عن نفسه, ولكن.. أما كان الأحرى به أن يخلقه الله بلا ذيل ويرحمه من جور[2] الذباب جميعاً, فإذا ما عاتبته الحيوانات علي عبوسه المستمر دافع عن نفسه بقوله: إنَّه لا يري في الدنيا ما يُضحك !

وكان « بنيامين » يخلص وده لـ « بوكسر » دون أن يُصرّح بهذا, وكان يقضي بجانبه دائماً عطلة يوم الأحد يرعي معه البرسيم (الحشيش) في صمتٍ خلف حديقة الفاكهة.

وما كادت الخيل تتوسد القش حتي وفد علي القاعة بط صغير فقد أُمّه, وقد أخذ في الصياح, فضمته «كلوفر » بين قدميها, فنعم بالدفء, ثُمَّ استسلم للسبات !

وأقبلت بعد ذلك « مولي » المهرة[3] الغرَّة البيضاء وهي تتبختر في مشيتها وقد ربطت حول رقبتها شريطاً أحمر ضفَّره لها مستر « جونز », وراحت تجرش قطع السكر محدثة صوتاً حاولت به اجتذاب انتباه الآخرين متباهية بجمالها والشريط الذي يزينها!

---

(1) الشَّامَةُ: علامةٌ في البَدَنِ يخالف لونَها لوْنَ سائِره. (المُعد).

(2) جور: ظلم. (المُعد).

(3) المُهْرة: أَوَّلُ ما يُنْتَج من الخيل. (المُعد).

وأخيراً أقبلت القطة وحشرت نفسها بين « بوكسر»، و« كلوفر » حيث الدفء اللذيذ, فاستسلمت للنَّوم دون أن تكلف نفسها عناء الاستماع لكلمةٍ واحدةٍ من محاضرة الخنزير «ماجور » !

وبذلك اكتمل عقد اجتماع المزرعة ماعدا « موسي »، غراب مستر « جونز » المدلَّل الذي اعتاد النَّوم في عشٍ وراء الباب الخلفي لمنزل المزرعة.

وعندئذ أخذ « ماجور » في سعالٍ يجلو به صوته في بداية الاجتماع, وقد أرهف الحاضرون السمع , واستهل « ماجور » محاضرته، قائلاً :

ـ أيها الرفاق, لقد سمعتم بالطبع بالحُلم الغريب الذي أتيح لي في اللَّيلة الماضية والذي سأقص عليكم فحواه فيما بعد؛ فأنا لديَّ الخطير من الأمور التي رأيت أن أُقدِّمها لكم, أوَّلاً : إنَّني كما تعلمون قد بلغت من العُمْر أرذله, وربما لا تمتد حياتي شهوراً طويلةً قادمةً, وقد رأيت لزاماً عليَّ أن أحدثكم بخلاصة حكمتي وتجاربي ومازال في العُمْر بقية ! لقد أتاح لي عُمْري المديد الذي قضيت شوطاً طويلاً منه وحيداً بحظيرتي في تفكيرٍ متصلٍ، وهو أن أصل إلي أسرار الحياة فوق هذا الكون, وذلك هو محور حديثي الذي أزمع أن أُقدمه إليكم.

ثُمَّ استطرد « ماجور » قائلاً :

ـ والآن أيها الرفاق, ما طبيعة الحياة التي نعيشها نحن معشر الحيوانات ؟ دعونا نواجه أمورنا بصراحةٍ: حياتنا جد قصيرة, نقضيها في كدٍ وعناءٍ ! نحن نولد فلا يُسمح لنا إلَّا بالكفاف الذي لا يكاد يمسك علينا رمقنا, والحيوانات يستغلها الآدميون في أعمالهم فتشقي بها حتي أنفاسها الأخيرة ! فإذا ما انتهت الحاجة إليها قادوها للذبح في قسوةٍ بالغةٍ ! وقد وئدت الحُرِّيَّة بإنجلترا حتي أصبحت الحيوانات لا تعرف معني السَّعادة أو الرَّاحة منذ بداية حياتها إلي نهايتها ! إن حياتنا في حقيقتها هي الشقاء مجسَّداً والعبودية في أبشع صورها !

أمَّا من جانبنا نحن معشر الحيوانات فهل كُتب علينا الاستسلام لهذه الأوضاع على أنَّها من طباع الأشياء؟ وهل الأرض التى نعيش عليها من الشح والقحط بحيث لا يمكنها أن تجود علينا بعيشٍ مناسبٍ كريم ؟ كلا وألف كلا ؛ فإن أرض إنجلترا خصبة، ومناخها طيب تستطيع معه أن تجود بالخيرات لأضعاف الأعداد التى بها الآن من الحيوانات، فالمزرعة التى نعيش عليها مثلاً تستطيع أن تأوي عشرة خيول، وعشرين بقرة، ومئات من الغنم فى أكرم حياة تستطيع أن تهفو إليها آمالنا، فعلام إذاً نواصل تلك الحياة التعسة ؟ ما من سبب يدعو لذلك إلَّا جشع الإنسان الذي يستحوذ على فائض الإنتاج، وهى الحقيقة المُرة التى تُفسِّر لنا أسباب تعاستنا وإن دارت كُلّها حول محور واحد هو الإنسان ! إنَّ الإنسان هو عدونا الأوحد والأزلي، فإذا ما استبعدناه من طريقنا فإنَّنا نكون بذلك قد محونا جذور الجوع والعبودية إلى الآبد !

فالإنسان، أيها الرفاق، هو المخلوق الوحيد الذي يستهلك ولا يُنتج؛ فهو لا يدر اللَّبن ولا يبيض، وهو أضعف من أن يحرث الأرض بنفسه، وهو أبطأ من أن يلحق بالأرانب ليصيدها بيديه، ومع ذلك فإنَّه السَّيِّد على جميع الحيوانات، يُسخرها في العمل ولا يجود عليها إلَّا بالكفاف مستأثراً لنفسه بكُلِّ الطيبات !

أمَّا نحن الذين نحرث الأرض ونُسمِّدها فليس لنا ما نتملكه حتى جلودنا !

أيتها الأبقار التى أمامي: أي ألوف من لترات اللَّبن حُلبت فى العام الماضي وكان من حقكِ أن تُربى عليها أبناءكِ من العجول الصغيرة ؟ إنَّ كُلّ قطرة منها تسربت إلى بطون أعدائنا !

وأنت أيها الدجاج، كم من البيض أنتجت في عامنا هذا ؟ وماذا بقى منه لأغرض الفقس؟ إنَّ هذا البيض ذهب إلي السوق؛ ليجلب مزيداً من المال لـ «جونز» وعصابته !

وأنت يا « كلوفر »، أين مهراتك الأربعة التى وُلدت؟ لم تبق فيها بالمزرعة

واحدة لتكون سنداً لك فى شيخوختك ! لقد باعها « جونز » جميعاً وليس لك من أملٍ فى رؤيتهم مرَّة أخرى، برغم عملك المتصل بالحقل ووجباتك الهزيلة !

ومع تلك الحياة التعسة التى نعيشها فان البشر لا يسمحون لنا أن نستمر فيها إلى نهايتها الطبيعيَّة !

أمَّا فيما يتعلَّق بنفسي فليس لي أنْ أشكو هذا؛ لأنَّني أعدُ نفسي من المحظوظين وقد بلغت الثانية عشرة من عُمْري ولى من الذرية ما يربو على أربعمئة خنزير! وهذه هي الحياة الطبيعيَّة المقدرة للخنازير، إلَّا أنَّه

فيما يتعلَّق بكم فما من حيوان سيفلت من حدِّ السكين فى نهاية المطاف !

أيتها الخنازير الصَّغيرة التي تجلس أمامي الآن، إنَّكِ ستعدمين حياتكِ القصيرة التى ستصل بعد عام إلى نهايتها البشعة، هذا هو المصير المرعب الذي يتهدَّدكم جميعاً من أبقارٍ وخنازيرٍ وغنمٍ وغيرها؛ حتى الخيل والكلاب فهي ليست أسعد منا حظاً، فأنت يا « بوكسر» حينما تذوى وتضعف عضلاتك القويَّة فإن « جونز » سيبيعك للجزار ويرمى بلحمك لكلاب الصيد !

أمَّا الكلاب إذا ما شاخت وسقطت أنيابها فإن « جونز » سوف يُعلِّق فى رقبتها حجراً ويرمى بها فى أقرب بركة !

ألم يتضح لكم بعد أيها الرفاق أنَّ الإنسان وحده هو مصدر مصائبنا؟ عليكم إذاً أن تتخلصوا منه، وعندئذ تعود إلينا ثمرات عملنا ! إنَّني لا أشك لحظة أن حُلمنا هذا في الحُرِّيَّة والثراء لابدّ أن يتحقَّق، ولكنّ علينا واجباً شاقاً يجب أن نؤديه، إن علينا أن نعمل ليلاً ونهاراً بأرواحنا وأجسادنا لقلب نظام الجنس البشرى !

إنَّ الثورة هي رسالتي إليكم أيها الرفاق، وإن كنت لا أستطيع أن أتنبأ لكم بموعدها؛ فقد تتحقَّق بعد أسبوع أو بعد مئة عام، ولكنَّني واثق تمام الثقة من حتمية مسيرتها ثقتي من وجود القش الذي أدوسه بأقدامي، فإنَّ العدل لابدّ أنْ يسود !

ركزوا أنظاركم على هذا الهدف المنشود أيها الرفاق حتى النفس الأخير من حياتكم القصيرة؛ وعليكم أن تنقلوا رسالتي هذه للأجيال القادمة، حتى نصل بأهدافنا إلى النصر، وواصلوا الجهاد بعزيمةٍ لا تلين، وعليكم ألَّا تتفرقوا في سراديب الخلافات المذهبيَّة !

ولا تسمعوا لمروجي الدعايات المُضلِّلة التى يُردِّدها الإنسان وأعوانه من أن لهم ولنا معشر الحيوان أهدافاً مشتركةً وأن لنا نصيبنا ممَّا يسكب عليهم من خيراتٍ؛ إنَّها محض افتراءات. إنَّ الإنسان لا يتحري إلَّا مصلحته الذاتيَّة. أمَّا نحن معشر الحيوانات فلابدّ لنا من أن نتحد في طريق الثورة، شعارنا: « البشر جميعاً أعداؤنا! والحيوانات كُلَّها رفاقنا ».

.. وإذ ذاك خرجت أربعة فئران من جحورها مستطلعة، واندست فى الصفوف الأخيرة فدهمتها الكلاب، وكادت تغرس فيها أنيابها لولا أنَّها لاذت بالفرار، وعادت لجحورها فى الوقت المناسب، وأثارت هذه المعركة ضجة شديدة فرفع « ماجور » رجليه الأماميتين مشيراً بالتزام الهدوء، واستأنف حديثه قائلاً:

ـ أيها الرفاق علينا أن نُحدِّد منذ البداية جميع الأمور بجلاءٍ: هل ستُعتبر الحيوانات البرية كالأرنب والفئران من زمرة أصدقائنا أو نتخذهم أعداء؟

.. وطُرح هذا السؤال للتصويت, وتمت الموافقة بأغلبيةٍ ساحقةٍ من الأصوات على اعتبار الحيوانات البرية صديقة، ولم يخرج على هذا الإجماع إلَّا أربعة من الحضور: القط والكلاب الثلاثة، التي تبيَّن أن الآمر قد التبس عليهم فأدلت بأصواتها مع الجانبين !

واستأذن « ماجور » قائلاً:

ـ إنَّ لدىَّ القليل لأقوله بشأن ضرورة استمرار الكفاح فى سبيل مُعاداة الإنسان وفضح أساليبه المريبة ! وإن شعارنا هو أن كُلَّ مَنْ يدب على قدمين اثنتين عدو

لنا، وكُلُّ ما يمشى على أربع أو ما يطير صديق لنا ! وما دمنا قد انتهجنا سبيل الحرب ضد الإنسان فإن علينا أن نتجنَّب التشبه به وبأساليبه؛ فإذا كُتب لنا النَّصر فعلينا أن نتجنَّب كُلّ العادات والتقاليد البشريَّة، مثل: اتخاذ المساكن أو النَّوم على الأَسِرَّةِ، أو ارتداء الأزياء، أو شرب الخمر، أو التدخين، أو التعامُل بالنقود، أو الاشتغال بالتجارة؛ فإن هذه العادات البشريَّة جميعاً إنما هي من اختراعاته الشيطانية ! وعلينا أن نضع فى اعتبارنا أنَّه من الأمور الجوهريَّة ألَّا يحاول حيوان ما أن يستعبد أبناء جلدته من الحيوانات الأخرى مستغلاً ضعفها أو غباءها؛ فإنَّ الحيوانات كُلَّها سواسية !

والآن فقد حان الوقت، لأحدثكم عن حُلم ليلتي الماضية؛ فإن أمره لغريبٍ حتي لا أستطيع أن أصفه لكم؛ فقد كنت أحلم بالأرض وهى تخلو من البشر ! وقد أعاد لي حُلمي هذا ذكرى من طفولتي عن أغنية كانت أُمّي ترددها لي، وكنت قد نسيتها إلَّا أصداء نغم وبقايًا من كلماتٍ، وقد بُعثت فجأةً إلى خاطري حيّة تنبض بالقوَّة كاملة لا نقص فيها منذ أن غناها الرعيل الأوَّل من البهائم، ثُمَّ علاها بعد ذلك صدأ النسيان!

إنَّني رأيتُ أن أنشدها لكم أيها الرفاق برغم كبر سني وخشونة صوتي ! فإذا ما حفظتموها استطعتم بعد ذلك ترديدها وأداءها خيراً مني، وعنوانها: « يا وحش إنجلترا ».

وجلا « ماجور » صوته، وابتدأ فى الإنشاد بصوتٍ خشن وأداء ممتاز، وكانت أنغامها مثيرة، وكلماتها عجيبة، تقول:

يا وحـــوش إنجـــلترا وقطيـــع أيـــرلندا العتيـــدْ
من صغيـــــــروكبيـــــر وقـــــريب وبعـــيـــــد
إنَّها بشـــــــري المنـــي إنَّـــه الفجـــر الجديـــد

عن غد يُحطِّم فيه الوحوش أغـــلال القيـــــــود !

***

فـي غـد ينقـلب الظلـــم وتنهـــد المعـاقـــل
دولـــةالإنســـانداله[1] وهـو في الأعقـاب زائـل
ليســت الأرض لإنســـيّ من الأشـــرار قاتـــل !
إنمـا الأرض لمَـنْ كـــد علـي الأرض وناضـــل

***

لا كانت أسبـــاب الحيـف[2] أو كانت حلْقـــات الأنـف[3]
لا كان الســـرج بأظـهرنا أو كانت ألوان الخـــوف
أو كانت فرقعـــة الســوط لذوات الحـافر والظَّلـف[4]
إن الإنســـان لجبـــار إن كـان يُقـابل بالضعـف

***

الفـــول لنا والقمـــح لنا والقـرطـــم[5] والـبـرسيم لنا

---

(1) دَالَتْ: اِنْقَلَبت، أوانْتقلت مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، ونقول دَالَتْ دَوْلَةُ الاسْتِبْدَادِ:أي اِنْقَضَى زَمَنُهَا، زَالَتْ. (المُعد).

(2) الحيف: الظلم أو الجور. (المُعد).

(3) حلقات الأنف: حلقة تُوضع في أنف حيوان. (المُعد).

(4) الظِّلْفُ : الظُّفْرُ المشقوق للبقرة والشاةِ والظَّبْي ونحوها. (المُعد).

(5) القُرْطُمُ: ثِمَارُ نباتٍ زراعيّ صِبغيٍّ من الفصيلة المركَّبة، ويُسَمَّى العُصفُر، يستعمل زهره تابلًا وملوِّنًا للطعام، ويُستخرَجُ منه صِباغ أَحمر. (المُعد).

نمحو الإنســـان من الدنيا لنقيـــم دعائـــم دولتـــنا
ونـــرد مظـالـم إخـــوتنا ونعـــز مبـــادئ ثورتـــنا
الفـــول لنا والقمـــح لنا والحقـــل بما يحـــويه لنا !

***

الثورة بوتقة[1] الغضب ثوروا لليـــوم المرتقـــب
مرحي[2] بالكدِّ وبالتَّعب ! لن ننجـــح إلا بالنّصـــَبَ[3]
من حقـق حلمـــاً قبلكمـــو إلَّا بالسعـــــــي وبالدأب ؟
سنثور كألسنـــة اللَّـــهب سعيـــاً للحق المغتصـــب !

***

وقد أثار ترديد هذا النشيد حماساً عنيفاً بين الحيوانات، وما كاد « ماجور» يصل إلى نهايته حتى أخذت تردده من جديد لأنفسها. وكان ممَّا أثار العجب أنَّه حتى الحيوانات التى لا تتميَّز بالذكاء استطاعت أن تلتقط بعض أنغام النشيد ونتفاً[4] من عباراته !

أمَّا الحيوانات ذات الذكاء كالخنازير والكلاب فقد حفظته عن ظهر قلب في

---

(1) بوتقة: وعاء على شكل قدح تُصهر فيه الفلزات وغيرها من المواد أو تسخَّن إلى درجات عالية من الحرارة، ويُصنع عادةً من مواد صامدة للحرارة مثل الخزف أو الجرافيت للصّائغ،وهي أيضاً بوتقة خاصَّة لصهر الذَّهب والفضّة. (المُعد).

(2) مرحي: جمع مرح، صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت من مرِحَ: شديد الفَرَح طَلْق المحيَّا، باشّ، باعث على البهجة والمرح. (المُعد).

(3) النّصَبَ:أي الكدُّ والكفاح. (المُعد).

(4) النُّتْفةُ: شيءٌ قليل من أيّ شيء. (المُعد).

دقائقٍ معدوداتٍ ! وبعد محاولات قليلة اتسقت أصوات الحيوانات على اختلافها فى ترديد نشيد«يا وحوش إنجلترا » في نسقٍ واحدٍ دون أن يبدو منها نشاز يُذكر !

البقرُ بخواره، والكلاب بنباحها، والغنم بثغائها، والخيل بصهيلها، والطيور بهديلها، غمرها النشيد بنشوةٍ عارمةٍ حتى إنَّها أعادته خمس مرَّات متتاليات ! ولو تركت لشأنها لما سكتت عن الترديد.

إلَّا أنَّ الضَّجة أيقظت مستر «جونز» ، فظن أنَّ ثعلباً تسلَّل للمزرعة، فقفز من فراشه وامتدت يده إلى بندقيته التى يحتفظ بها قريباً من سريره؛ ومزقت سكون اللَّيل عدة رصاصات استقرت في حائط حظيرة الاجتماع، وبذلك أسدل الستار المفاجئ على الاجتماع، وهرعت الحيوانات إلى مضاجعها؛ والطيور إلى أعشاشها، وفي لحظاتٍ كان الجميع في سبات عميق !

***

الفصل الثاني

الحيوانات تنتصر !!

Animals triumph !!

قضي « ماجور » نحبه فى سلامٍ في شهر مارس (آذار)، وبعد ليال ثلاث من وصيته الأخيرة, وقد ووري جسده بالتراب تحت شجره تفاح بالمزرعة.

وكان لمحاضرة « ماجور » صداها البعيد على الحيوانات التى تمتاز بالذكاء. فابتدأت في تنظيم حركات سرية في الأشهر الثلاثة التى تلت وفاته، وقد اختلفت نظرتها القديمة للحياة، ومع أنَّها كانت لا تدرك متى تتحقق نبوءة « ماجور »، ومع أنَّها كانت لا تتصوَّر أنَّها قابلة للتحقيق وهى على قيد الحياة؛ فإنَّها ـ مع ذلك ـ قد اقتنعت أنَّ واجباً لا مناص منه يقع علي كاهلها في الإعداد لها !

ولمَّا كانت الخنازير هي أذكى الحيوانات فقد تكفلت بمهام التنظيم ونشر الدعوى بين الحيوانات الأخرى، وقد برز في هذه المجالات خنزيران شابان، هما: « سنوبول »، و« نابليون »، كان يعدَّهما مستر « جونز» للبيع.

وكان « نابليون » ضخم الحجم ذا قسمات قاسية، وُلد في مقاطعة « بركشاير»،

وهو لا يمتاز بطلاقة اللسان، ولكنَّه مع ذلك كان دائماً يصل إلى أغراضه بوسائله الخاصَّة.

أمَّا « سنوبول » فقد كان أكثر حيوية من « نابليون »، وأعظم فصاحة معروفاً بسعة الأفق، وإن كان يفتقر إلى قوَّة الشخصيَّة التى يتحلى بها غريمه.

في حين أنَّ بقية خنازير المزرعة كانت خصيَّة[1] مُعدة للتسمين ليس فيها من أصحاب الرأي إلَّا خنزير يُدعىّ « سكويلر »، مستدير الخدود، أثقل الشَّحم[2] خطاه، وضغط على قسمات وجهه فضاقت عيناه، وأثَّر على صوته، فصارت نبراته كالصرير[3]، متحدث لبق وله لازمة إذا ما استبد به الحماس: يترنح بعصبيَّةٍ ذات اليمين وذات اليسار، ويهز ذيله بهمةٍ لا يملك معها السامعون إلَّا الاقتناع حتى أُشيع عنه أنَّه من القادرين على قلب الحق باطلاً والباطل حقاً!

وأخذت هذه الخنازير الثلاثة فى تقنين تعاليم « ماجور»، وإخراجها في مذهب فكرى متكامل عُرف بالحيوانيَّة **Animalism**, وأخُذت علي عاتقها مهمة شرحه ونشره بين الحيوانات الأخرى في اجتماعاتٍ مُتعدِّدةٍ فى أثناء اللَّيل حيث يأوي مستر « جونز » إلى فراشه.

وقد لاقت الخنازير الثلاثة فى بداية الآمر صعوبة بالغة فى نشر دعوتها لما اعترضها من غباء الحيوانات الأخرى واستكانتها للأمر الواقع، حتى إن فيها مَنْ كان يرى ضرورة الإخلاص لـ «جونز » وأصرت على الإشارة إليه بلقب السَّيِّد ! وكانت تحمد له صنيعه في إيوائها وإطعامها، وكانت تخشى عاقبة الخروج عن طاعته.

---

(1) خصيَّة، خَصيّ: مَخْصيّ، الذي سُلَّت خُصْيتاه أو نُزعتا. (المُعد).

(2) الشَّحم: مادَّةٌ دُهْنِيَّةٌ تُسْتَخْرَجُ مِنَ الحَيَوَانِ أَوِ النَّبَاتِ وغيرهما، نقول شحُم فلانٌ، أي :كثُر الدّهن في جسده. (المُعد).

(3) الصرير: صوت الجراد؛ وصوت الجندب؛ وصوت الحديد؛ وصوت الزجاج؛ وصوت الصرصور المتتابع؛ وصوت العصفور؛ وصوت القلم؛ وصوت حك الشيء.(المُعد).

وكانت الحيوانات المستكينة لا تخجل من أن تجادل بأنَّ الموت مكتوب عليها بطريقةٍ ما، وبأنَّها إذا ما ماتت فإنَّها لا تأبه بما بعد الموت! وإذا ما ذكرت لها الخنازير الثلاثة أنَّ الثورة آتية لا ريب، وأنَّها من الأمور الحتمية، تساءلت: فعلام إذاً الجهاد والتَّعب فيما هو آت بالضرورة وواقع بالحتمية ؟ وهكذا لاقت الخنازير الثلاثة عنتاً[1] شديداً في إقناعها بنصوص المذهب الجديد وروحه، وبضرورة الالتزام به والعمل فى سبيله.

وربما كانت أكثر التساؤلات غباء وسطحية، هو سؤال المهرة « مولي » :

ـ هل سنحظى بعد الثورة بقطع السكر ؟ وهل سنتمكَّن من أن أزين رقبتي بالأشرطة الملونة ؟

فقاطعها « سنوبول » وعنفها بحِدّة على أسئلتها السخيفة، وذكر لها أنَّه ليس لدى الثورة المقدرة على جلب السكر، كما أنَّها لا تعنى بذلك، ويكفى ما لديها من حنطةٍ[2] ودريسٍ[3]!

أمَّا بخصوص الشرائط فقد وجه « سنوبول » حديثه لجميع الحيوانات مُحذراً منها؛ فهي في رأيه رمز العبودية والتبعية، وإنَّ الحُرِّيَّة تستحق من الحيوانات التضحية بمثل هذه المظاهرة التافهة !

واضطرت « مولي » المسكينة أن تتظاهر بالموافقة عن غير اقتناع؛ كما وجدت الخنازير عنتاً في مواجهة حملة الدعاية الخبيثة التى كان يشيعها « موسى » غراب مستر « جونز » المستأنس، والذي اعتاد نقل الكلام وإفشاء الأسرار وإطلاق

---

(1) عنتاً: نقول: عنِت الشَّخصُ، أي وقع في شدَّةٍ، أو إثم ،أو أمر شاق.(المُعد).

(2) الحِنْطَةُ: القَمْح والبُرُّ، وهو جنس من النّباتات ذوات الحبّ تُزرع، وهي من فصيلة النّجيليّات وتشتمل على أهمّ الأنواع النّباتيّة الغذائيّة.(المُعد)

(3) الدَّرِيسُ: القَتُّ، وهو يابس البرسيم.(المُعد).

الإشاعات المحبوكة ! وقد كان يدعى وجود بلد غريبة اسمها «جبل السكّر نبات» تُبعث فيها الحيوانات بعد موتها، وهى فيما وراء الغيوم مباشرة في السَّماء ! وفي هذه المملكة السَّماوية ترتاح الحيوانات من عناء العمل الدنيوي، ولها ما شاءت من برسيمٍ فى كُلِّ الفصول، وعلى حدود حقول البرسيم تنمو أسوار من الفطائر اللذيذة و« السكّر نبات »[1]!

ومع أنَّ الحيوانات كانت تبغض « موسى » لكسله وخبثه، فإن بعضها كانت تؤمن بنبوءته عن مملكة «السكّر نبات » وإن نفت الخنازير احتمال وجودها، وكان من أخلص التلاميذ للمذهب الخنزيرى الجديد «بوكسر»، و « كلوفر » اللَّذان استوعبا جمع التعاليم الجديدة، وعملا على التبشير بها بين شتى الحيوانات في عباراتٍ بسيطةٍ. لا يتكلمان إلَّا بوحي المذهب، ولا يفكران إلَّا في حدوده، ويواظبان على الاجتماعات في الحظيرة، ويتزعمان إنشاد « يا وحوش إنجلترا » في ختام الجلسات.

وفى غفلة من الزمان ـ وبسهولةٍ لا يمكن لأحدٍ تصوُّرها ـ انبعث الثورة، وتمَّ لها النجاح، ففى السنوات الخالية البعيدة كان مستر « جونز » يحسن إدارة مزرعته، ويتسم بالقسوة وحُبّ النظام إلَّا أنَّه قد أخذ في التراخي بعد أن فقد ثروته، واستسلم بعد ذلك للسكر والعربدة !

وقد أصبح يقضى جل وقته فى مطبخ منزله بالمزرعة على كرسيه المريح، يقرأ الصحف ويسكر ويطعم غرابه « موسى » من وقتٍ لآخر بقطعٍ من الخبز المغموس فى الجعة، وتحوَّل عمال المزرعة إلى شلةٍ من الكسالى خربي الذمة، فدبت الأعشاب فى الحقول، وتشقق سقف المنزل، وأهملت أسوار المزرعة، وأسلمت الحيوانات للإهمال والجوع!

---

(1) سكّر نبات: حلوى شفّافة تصنع بغلي السكر مع إضافة خلاصة الشعير.(المُعد).

وأقبل شهر يونية (حزيران) حينما كان الدريس معداً للحصاد، وفى يوم السبت الذي يوافق يوماً يحتفل به الزارعون يُسميّ بعيد منتصف الصَّيف سافر « جونز » إلى « ويلنجدون » للاحتفال بهذه المناسبة في حانه «الأسد الأحمر»، واستسلم للشرب حتي أصبح ثملاً من كثرة الشراب، ولم يفق إلَّا عند منتصف يوم الأحد التالي تاركاً أمور المزرعة في أيدي عماله !

وقد حلب العمال البقر فى صباح يوم الأحد، ثُمَّ ذهبوا لرحلةٍ يصيدون فيها الأرانب دون أن يلتفتوا إلى إطعام الحيوانات الجائعة،وعاد مستر « جونز » من سفره واتجه إلى حجرة الجلوس بالمزرعة مواصلاً نومه على الأريكة وقد خبأ وجهه بصحيفة « أخبار العالم » واستمرت الحيوانات علي جوعها حتي المساء وهو الأمر الذي لم تستطع معه صبراَ, وفجأةً دفعت إحدى الأبقار باب المخزن بقرنيها, فاندفعت الحيوانات داخله تأكل ما به من غلال !

واستيقظ مستر « جونز » واستدعى عماله الأربعة الذين كانوا قد عادوا من رحلتهم، وانبروا جميعاً وفي أيديهم سياط يضربون بها الحيوانات ويردونها عن المخزن، وكانت هذه القسوة أكثر ممَّا تحتمله الحيوانات الجوعي، وبدون ترتيب سابق، وفى وحدةٍ من القصد انقلبت الحيوانات على جلاديها تركلهم وتعضهم حتى أفلت الزمام من أيدي الرِّجال الذين لم يعرفوا من قبل سابقة لهذه الظاهرة، فتوقفوا عن الدفاع عن أنفسهم، وانتابهم رعب شديد، وهرعوا إلى خارج المزرعة، واتجهوا إلى الطريق العامّ والحيوانات تتبعهم بعد أن تمَّ لها الانتصار !

وكانت مسز « جونز » تتبع الموقعة من نافذتها، وحينما رأت ما حلّ بزوجها ورجاله جمعت حاجاتها في عجالةٍ، واندفعت تجرى في الاتجاه الآخر والغراب «موسى» يطير وراءها وهو ينعى أيام السَّعادة والهناء !

ولمَّا أيقنت الحيوانات النصر، وتأكدت من هروب أعدائها عادت، فأغلقت باب

المزرعة الكبير ذا العوارض الخمس، وهكذا وقبل أن تدرس الحوادث أو تتسلسل حلقاتها أيقنت الحيوانات أنَّ الثورة قد نجحت ورسخت وأنَّ مزرعة « جونز » قد أصبحت ملكاً خالصاً لها !

وفي الدقائق الأوَّلى وقبل أن تفيق الحيوانات من ذهولها المنتشي بهذه المفاجأة السَّعيدة التى هيأت لها المستقبل الوردي الذي ينتظرها راحت الحيوانات تهرول حول أسوار المزرعة لتطمئن قلوبها مرَّة أخرى بأن المزرعة خالية من البشر، ثُمَّ اندفعت بعد ذلك إلى مباني المزرعة تمحو منها آخر معالم الحكم الإنساني البائد, واقتحمت مخزن المعدات الذي كان يحفظ فيه « جونز» الألجمة[1]، والسروج، وحلقات الأنوف، وسلاسل الكلاب، والأمواس المخصَّصة لخصي الخنازير والخرفان، وألقت بها جميعاً فى جوف البركة، كما جمعت السيور، وأصفاد الأرجل، والسياط، وعُصابات الأعين، وأدوات خرم الأنوف، وألقت بها فى النَّار!

وحينما كانت النَّار تلتهم أدوات الإرهاب هذه ارتفعت صيحات الابتهاج والاستحسان !

وقد تعمَّد « سنوبول » أن يلقى إلى النَّار أيضاً بالأشرطة الملونة التى كان يزين بها مستر « جونز » رقاب الخيل وذيولها حينما يذهب بها إلى الأسواق ! وأعلن أنَّه يعتبر هذه الأشرطة من قبيل الأزياء البشريَّة التى تتنافى والمذهب الحيواني ! وهنا نزع « بوكسر » قبعة من القش كان مستر « جونز » يثبتها على رأسه في الصيف، لتذود عنه الذباب؛ والقي بها في السَّعير[2].

وتقدَّم « نابليون » تتبعه الحيوانات إلى مخزن الغلال وقدَّم لها وجبة مضاعفة منها، كما قدَّم للكلاب قطعتين من البسكويت، ثُمَّ أخذت الحيوانات بعد ذلك في

---

(1) الألجمة: مفردها: لِجَامُ، وهو الحديدةُ في فم الفرس.(المُعد).

(2) السَّعيرُ: النَّار الشديدة الملتهبة.(المُعد).

ترديد نشيد الثورة سبع مرَّات متتالية من بدايته حتى النهاية، ثُمَّ هدأت بعد ذلك واستسلمت لنومٍ لذيذٍ لم تسعد بمثله من قبل !

وفى الفجر استيقظت وهى فخورة بحُرّيتها الجديدة وبانتصار ثورتها، وتوجهت لمراعي المزرعة، واعتلت فيها ربوة عالية تشرف على المنظر الكامل للمزرعة كُلّها، وفى نشوةٍ بالغةٍ كانت تجرى وتقفز وتلقى بأجسادها على الحشيش المبلل بقطرات الندى! وتشم رائحة التراب سعيدة بشذاه المنبعث، ثُمَّ طفقت بعد ذلك تجول في أنحاء المزرعة وهى تتأمَّل ببالغ الإعجاب الحقول المحروثة والدريس، وأشجار الفاكهة والبركة، وكأنَّها لم تسعد بجمال هذه المناظر من قبل؛ فهي اليَّوم فقط قد صارت ملكاً خالصاً لها!

ثُمَّ توجهت الحيوانات بعد ذلك إلى المنزل الذي يقطنه مستر « جونز »، وفي قلوبها رهبة تكاد تثنيها في الدخول، ولكن « سنوبول »، و« نابليون » فتحا الباب بكتفيها بكُلِّ قوَّةٍ واقتحما المنزل تتبعهما بقية الحيوانات واجفة[1] تمشى علي أطراف أصابعها وهى تنتقل من حجرةٍ إلى أخرى، وكأنَّها تخشى المجهول الذي يتربص بها، وتتهامس بإعجابٍ ممَّا تراه من مظاهر الأبهة والترف المتمثلة في الأَسِرَّة، والوسائد ذات الريش، والمرايا الفخمة، والأرائك، والأبسطة البلجيكيَّة، ورف المدفأة الفاخر تعلوه سورة الملكة « فيكتوريا»[2]!

وحين همَّت الحيوانات بالخروج من المنزل بعد جولتها اكتشفت غياب المهرة « مولى » فعادت لتجدها مختبئة بحجرة النَّوم الرئيسة، وكانت تتشح بشريطٍ أزرق

---

(1) واجفة: وَجَفَ الشيءُ، أي اضطرب، ونقول: وجَف القلبُ، أي خفَق وخاف، ونقول وَجَفَ فلانٌ، أي سَقَطَ من الخوف، ونقول كذلك: صوتٌ واجفٌ، أي مرتجف ومرتعش.

(2) الملكة فيكتوريا: هي ملكة بريطانيا العظمى، وُلدت في 24مايو1819م، وتوفيت في 22يناير1901م، تولت الحكم في الفترة من 20 يونية 1837م، وحتى وفاتها.(المُعد).

من مخلفات مستر« جونز », وتنظر لنفسها في المرآة رائحة غاديةُ وهى في أشدِّ حالات الإعجاب بنفسها ممَّا أثار موجة من السخط عليها ! ثُمَّ اتجهت بعد ذلك إلى مطبخ المنزل، وأخرجت لحم الخنزير المقدَّد[1] لتواريه بالتراب فى مشهدٍ حزينٍ، كما حطَّم «بوكسر» برميل الجعة !

وفيما عدا هذا فقد اتفقت جميعاً على الاحتفاظ بالمنزل كما تركه مستر «جونز» كمتحفٍ لا يليق بالحيوانات سكناه !

وبعد تناول وجبة الإفطار استدعى « سنوبول»، و« نابليون » سائر الحيوانات، وخطب فيها «سنوبول » محذراً من المهام المُلِحَّة التى عليها إنجازها، وقد اقتربت السَّاعة من السَّادسة والنصف صباحاً وإن عليها البدء فى حصاد الدريس ! غير أنَّه استرعى أنظارها إلى أنْ له معها حديثاً قبل أن تتوجه إلى الحقل؛ وقد أعلن عليها أن جميع خنازير المزرعة قد أصبحت تحسن القراءة والكتابة بعد أن تعلَّمت ذلك من كتب مستر « جونز » القديمة، وكذلك طلب منها التوجه إلى بوابة المزرعة، على حين كان « نابليون » يحمل علب طلاء من اللونين الأسود والأبيض، وأمام البوابة أمسك « سنوبول » بالفرشاة فشطب اسم المزرعة القديم «مانور» وكتب بدلاً منه « مزرعة الحيوان » وهكذا أصبحت للمزرعة اسمها الجديد!

ثُمَّ اتجهت الحيوانات بعد ذلك إلى مباني المزرعة، وطلب « سنوبول »، و«نابليون » إحضار السُلَّم، فأسنده إلى الحائط الخلفي للحظيرة الكبيرة ذلك الحائط الذي أكسبه الدخان المتصاعد لوناً أسود، ثُمَّ أعلن الخنزيران « سنوبول»، و«نابليون» أنَّهما قد توصلا فى الأشهر الثلاثة الأخيرة إلى اختصار المذهب الحيواني

(1) المقدَّد :من اللحْمَ: تقطع طولًا ثُمَّ تُملح وتجفف في الهواء والشَّمس.(المُعد).

الجديد الذي بشر به « ماجور » في وصايا سبع جمعت جوهر التعاليم، وأنَّهما قد أزمعا كتابتها على الحائط لتصبح نبراساً للحيوانات تتمثَّل به، وقانوناً تلتزم بنصوصه !

وبشيءٍ من الصعوبة اعتلى « سنوبول » السُلَّم يُساعده في ذلك «سكويلر» ويحمل له عُلب الطلاء، وابتدأ في الكتابة بحروفٍ واضحةٍ من الطلاء الأبيض يمكن قراءتها من بُعد ثلاثين «ياردة »[1] علي الحائط الأسود، وكانت كالآتي :

الوصايا السبع:

الوصية الأوَّلي: كُلّ مَنْ يمشى على رجلين اثنتين إنما هو من الأعداء.

الوصية الثانية: كُلّ مَنْ يدب على أربع، أو له جناحان إنما هو من الأصدقاء.

الوصية الثالثة: غير مسموح للحيوانات بارتداء الملابس.

الوصية الرابعة: غير مسموح للحيوانات بالنَّوم على الأسِرَّة.

الوصية الخامسة: غير مسموح للحيوانات بشرب الخمور.

الوصية السَّادسة: على الحيوان ألَّا يقتل حيواناً آخر.

الوصية السابعة: كُلّ الحيوانات سواسية.

وبرغم أنَّ هذه الوصايا قد دونت بخطٍ أنيقٍ فإن كلمة (صديق) كُتبت على سبيل الخطأ الهجائي (صدق)، كما كُتب حرف السين مقلوباً، وما عدا هذا كانت كتابته صحيحة. وقد أعاد « سنوبول » قراءة الوصايا السبع على الجميع بنداً بنداً، وقد حظيت الوصايا السبع بموافقة الحضور عليها بالإجماع، وقد حفظتها الحيوانات الذكية فى التوِّ عن ظهر قلب.

---

(1) ياردة: Yard، هي وحدة قياس للأطوال كانت تستخدم في إنجلترا، وما زالت تستخدم في أمريكا. أنشأها « هنري الأوَّل » ملك إنجلترا عندما مدّ ذراعه وحدَّد الياردة بالمسافة بين أنفه وطرف إصبعه الأوسط. واليارده = 3 أقدام = 36 بوصة =44,91 سم.(المُعد).

ثُمَّ صاح « سنوبول » في الحيوانات بعد أن ألقى بالفرشاة طالباً منها التوجه إلى العمل مُذكِراً إياها بأن أمامها عملاً ضخماً يقع على عاتقها يجب أن تؤديه خيراً من « جونز » وعصابته من الآدميين !

وفي هذه الأثناء سمعت الحيوانات خواراً شاكياً من البقر التى كان يبدو عليها القلق، واتضح أنَّها لم تكن قد حلبت منذ أربع وعشرين ساعة، وكانت تشكو أنَّ ضروعها[1] تكاد تتمزق، وبعد شيء من التفكير أحضرت الخنازير الدلاء[2] وقامت بجلب البقر بنجاح، فملأ اللَّبن الدسم خمساً منها، وتساءلت الحيوانات عن مصير هذا اللَّبن الذي أَثار فيهم شهوة الجوع، وألمحت الدجاجات أنَّ مستر «جونز» أعتاد أن يمزج العلف الخاصّ بها بشيءٍ من اللَّبن!

وعندئذ صاح فيها « نابليون » الذي جمع دلاء اللَّبن قريباً منه أن على الحيوانات ألَّا ترهق نفسها في التفكير فيما لا يعنيها، وأن عليها أن تتجه مباشرة إلى الحقل لجمع المحصول الذي أصبح يشكل مسؤوليتها الرئيسة، وصاح فيها:

ـ أيها الرفاق تقدَّموا، فسأتبعكم بعد قليل.

.. وانتشرت الحيوانات فى الحقل للعمل، وحينما عادت إلى المزرعة كان اللَّبن قد اختفي !!

***

(1) ضروعها: الضَّرْعُ، هو مَدَرُ اللّبن في ذوات الظِّلْف والخُفِّ، وهو كالثّدي للمرأة ضَرْع البقرة/ الشَّاة. (المُعد).

(2) الدلاء: أو أَدْلٍ، المفرد: دلو، وهو إناء للسقي.(المُعد).

الفصل الثالث

من أجل صحَّة الخنازير!!

For the health of pigs !!

تعبت الحيوانات وكدحت كما لم تكدح من قبل فى جمع المحصول، وقد كوفئت على هذا بمحصولٍ وافرٍ, ولم يكن العمل بالحقل سهلاً كما كانت تتصوَّر، فقد كانت أدوات الزراعة والحصاد مصمَّمة لاستعمال الإنسان وحده، وكان من العسير على الحيوانات الوقوف على أرجلها الخلفية، وإمساك الأدوات بالأرجل الأمامية، ولكن الخنازير ذللَّت مثل هذه الصعوبات بذكائها وحُسن تصرُّفها؛ كما كانت الخيل على علم رائع بخبايا العمل بالحقل، وطرق الجرف والحش خيراً من «جونز» نفسه أو رجاله !

وقد انعقد للخنازير لواء الزعامة نظراً لما تمتاز به من ذكاءٍ، فتخصَّصت فى أعمال الإدارة والإشراف، وتركت العمل في الحقل للحيوانات الأخرى، وكان « بوكسر»، و« كلوفر » يجران آلات الجرف والحرث والحصاد، على حين كانت الخنازير تطلق صيحات التشجيع للحيوانات الأخري لتحثهم على العمل، وقد انخرطت جميعها فى عملٍ دءوب كُلٌّ وفق طاقته حتى البط و الدجاج؛ فقد كان يحمل ما يستطيعه من الدريس بمناقيره !

وبرغم ضخامة المحصول فقد انتهت الحيوانات من جمعه خلال يومين وهى فترة بسيطة بالمقارنة بالوقت الذي كان يستغرقه العمل فى الماضي، وبدون فاقد أيضاً؛ فلم تسرق الحيوانات من للحصول شيئاً يُذكر !

وانتظم العمل كالسَّاعة طوال الصيف، وكانت الحيوانات فى منتهى السَّعادة هنيئة بالطعام الذي زرعته وحصدته بنفسها وأصبح كُلَّه لها بعد أن كان يتفضل عليها سيِّدها الآدمي المترفع بالنزر القليل منه !

وهكذا عمَّ الخير بعد أن اختفى من بينها ذلك الإنسان الطفيلي عديم الجدوى! والأعجب أن أوقات راحتها وفراغها قد زادت رغم كُلّ هذه الأعمال التى تقوم بها !

غير أن حداثة عهد الحيوانات بالزراعة والإدارة أوقعتها فى كثيرٍ من المشكلات؛ فمثلاً في موسم الحصاد لم لكن لديها آلة لدراس القمح، وبذلك لم لكن أمامها إلَّا إتباع الأسلوب القديم وهو مداومة المشي على القمح حتي يفرك ثُمَّ ينفخ التبن بعيداً، وكان « بوكسر » بعضلاته الجبارة عوناً لها في كُلِّ ما يطرأ من متاعب، وكان يبذل من الجهد أضعاف ما كان فى عهد مستر«جونز» الغابر، وهو الجهد الذي ربما عجزت عنه ثلاثة خيول مجتمعة !

وفى واقع الأمر فإن أغلب العمل كان يقع على كاهله، يؤديه ببساطةٍ وسط إعجاب جميع رفاقه من الحيوانات؛ فكان يقضى جلّ وقته منذ بزوغ الشمس حتى غروبها بين جرّ ودفع حيث يدعوه الواجب، وقد عقد « بوكسر » مع أحد الديكة اتفاقاً ليوقظه قبل موعد العمل المُقرَّر للآخرين بنصف ساعة على سبيل التطوُّع، شعاره فى ذلك: « سأعمل اكثر » يردده كُلَّما ألمت به أو بالمزرعة ضائقة أو صعوبة.

أمَّا الحيوانات الأخرى فقد كانت هي أيضاً تؤدى واجبها كاملاً, كُلٌّ وفق طاقته بوازع من إخلاصها؛ فعلى سبيل المثال فإنَّ الدجاج والبط أنقذ كثيراً من المحصول الضائع بجمع الأعواد المتطايرة؛ كما كفت جميع الحيوانات عن السَّرقة، وامتنعت

عن الشكوى من مُقرَّراتها الغذائيَّة، وكذلك كفت عن العراك والعض والغيرة التى كانت تسود المزرعة في عهدها البائد ! ولم تتقاعس إحداها عن العمل إلَّا « مولى » التى كانت تستيقظ بعد مواعيد العمل، وتنسحب قبل نهايتها منتحلة شتى الأعذار !!

وكذلك كانت تصرُّفات القط مثيرة للشكِّ، فقد كان يختفي عند بداية العمل ثُمَّ لا يظهر (ثانياً) إلَّا عند أوقات انتهائها وعند الأكل وكأن شيئاً لم يحدث !! وكان يبدى أجمل الأعذار ويموء بإخلاصٍ إذا ما عوتب على مسلكه !

أمَّا « بنيامين » الحمار العجوز فإنَّه لم يتغيَّر بعد الثورة: يؤدى عمله كما اعتاد أداءه دائماً بأسلوبه القديم نفسه فى العناد والبطء، ولا يتنصل ممَّا يُعهد إليه من عملٍ، كما أنَّه لا يتطوَّع بالمزيد ! أمَّا بخصوص معتقداته المذهبيَّة فإنه كان يبدى تحفُّظاً شديداً، ونادراً ما يبدى رأيه صراحة، فإذا ما سُئل عن رأيه فى العهد الجديد فى ظلِّ الثورة فإنَّه كان يتخلص من السؤال بجواب لا يكاد يمت إليه بصلةٍ كأن يقول : (إنَّ حياة الحمير مديدة، مَنْ منكم شاهد حماراً نافقاً)، وكانت رفيقاته من الحيوانات قد أنست لأسلوبه هذا فى المراوغة !!

كانت أيام الآحاد هي العطلة الأسبوعيَّة, يُقدَّم فيها الفطور في ساعةٍ متأخرةٍ, فإذا ما فرغت الحيوانات ابتدأت بعد ذلك في أداء طقوس اعتادت أداءها في تلك العطلات, فهي ترفع علماً أخضر اللَّون في الصباح كان مستر « جونز» يستخدمه مفرشاً في الزمن الماضي, ثُمَّ زينه « سنوبول » بحافر وقرون. وقد شرح لها «سنوبول» دلالات اللَّون والرمز، فقال:

ـ إنَّ اللَّون الأخضر يرمز لحقول إنجلترا، أمَّا الحافر والقرن فهما رمز لجمهورية الحيوان التى هي النواة للجمهورية الكُبرى إذا ما انقلب الحكم الإنساني كُلَّه فى إنجلترا !

وبعد رفع العلم وتحيته تتجه الحيوانات إلى الحظيرة الكُبرى، ثُمَّ تنخرط فى ندوةٍ

تناقش فيها أعمال الأسبوع القادم، ويتمّ الاتفاق عليها بعد أخذ الأصوات، وكانت الخنازير عادة هي صاحبة الرأي وكافة الاقتراحات، بعدها تُعرض هذه المقترحات لإبداء الرأي فيها بين عامَّة الحيوانات الأخرى !

وكان « سنوبول »، و« نابليون » هما ألمع حيوانات المزرعة رأياً وأكثرها نشاطاً فى هذا المجال، وإن لُوحظ أنَّ الاثنين قلَّما يتفقان، فماذا ما أبدى أحدهما رأياً وحظي بالموافقة فإنَّ الآخر يثير خلافاً علي تفاصيله، فمثلاً حينما اتفق على تخصيص مرعى للمسنين من الحيوانات خلف حديقة الفواكه، دب الخلاف بينهما حول السن التى يُتاح له أن يستفيد فيها بهذا المرعى !

وفى ختام الاجتماعات ترتل الحيوانات نشيد « يا وحوش إنجلترا »، أمَّا بعد الظهر فقد كان يُخصَّص للفسحة والتنزه.

اتخذت الخنازير من مخزن معدات مركزاً لقيادتها، تُدرَّب فيه على شتى أعمال المزرعة كالتجارة والحِدادة وجميع ما يلزم المزرعة من حرفٍ، توصلت إلى مبادئها عن طريق الكتب التى تركها مستر « جونز »، كما تفرَّغ « سنوبول » بلا كلل لتأليف لجان عمل، فهناك علي سبيل المثال لجنة من الدجاج لشؤون البيض، ولجنة الذيول النظيفة من البقر، ولجنة الوحوش البرية بغرض استئناس الفئران والأرانب، وكذلك تكوَّنت لجنة الصوف الأكثر بياضاً من الغنم، كما كونت لجان أخري لمحو الأمية.

ولم تصادف مثل هذه اللجان كثيراً من التوفيق؛ فقد استمرت الحيوانات البريَّة على سيرتها الأوَّلى من التوحُّش، وكانت تتسم بالأنانية والاستغلال إذا ما أحسنت معاملتها ! وقد ساهم القط فى لجنة ترويض الوحوش البرية بجهدٍ كبير، فقد كان غاية فى النشاط فى هذا المجال، فطالما شُوهد وهو يحدث العصافير البعيدة عن متناوله على التآخي والإيمان بمبادئ الثورة. وإن ظلت جهوده في هذا الصدد بدون نجاح يُذكر!

ومع ذلك فقد حقَّقت لجان محو الأمية قدراً كبيراً من التقدُّم؛ فعندما أقبل الخريف كانت بعض الحيوانات قد أحرزت قدراً طيباً من التعليم؛ فالخنازير صارت على درايةٍ تامةٍ بالقراءة والكتابة؛ كما كانت الكلاب قادرة إلى حدٍّ ما على القراءة وإن تركز اهتمامها بصفةٍ خاصَّةٍ على الوصايا السبع، وكانت العنزة« موريل » أكثر منها إجادة لأصول القراءة وعادةً ما تقرأ فى المساء لرفيقاتها طرفاً من أخبار الصحف القديمة التى كانت بالمزرعة !

كما كانت درجة إجادة « بنيامين » للقراءة تضارع مقدرة الخنازير، وإن كان عازفاً عن إبراز موهبته في ذلك الشأن، وكان يُردِّد دائماً أنَّه على حدِّ علمه لا يجد فى الدنيا شيئاً يستحق عناء البحث والقراءة. كما تعلَّمت « كلوفر » حروف الهجاء منفصلة التركيب وإن عجزت عن استيعابها فى كلماتٍ أو جمل مفيدة.

أمَّا « بوكسر » فقد توقفت قدرته الذهنيَّة عند الحروف الأوَّلى الأربعة: أ, ب, ج, د، وكان يرسم هذه الحروف على التراب بحافره الكبير ثُمَّ يحاول جاهداً أن يتذكَّر ما بعدها من حروفٍ وهو يهز رأسه بعصبيةٍ؛ وتميل أذناه إلى الخلف دون أن يحالفه التوفيق، فإذا ما وُفق مرَّة فى تذكُّر قليل من الحروف التى تليها فإن ذاكرته تكون قد لفظت الحروف الأولى التى طالما أنهك ذهنه في حفظها؛ ولذلك فقد قرَّر بلا رجعة التوقف عند حروفه الأربعة الأولى.

أمَّا المهرة « مولى » فلم تكن لتقبل على الدراسة، ولا تعرف من الحروف إلَّا تلك المكونة لاسمها، تظل تخطها على أوراق الشجر المتناثرة، ثُمَّ تنثر الزهور على مخطوطاتها، وتظلّ تعدو وتتراقص بينها بدلالٍ جيئةً وذهابا !

أمَّا الحيوانات الأخرى فلم تستطع أن تحفظ حرفاً واحداً بعد حرف الألف، كما عجزت الغنم والحيوانات التى على شاكلتها من الغباء كالدجاج والبط عن حفظ الوصايا السبع حفظاً صحيحاً، ومن أجل ذلك فقد عمد «سنوبول » إلى اختصار

الوصايا فى حكمةٍ واحدةٍ، هي: « ذوات الأربع أخيار ! ذوو القدمين أشرار ! ». وهي خلاصة المذهب الحيواني في رأيه، تعصم الحيوانات التى تعيها من الوقوع تحت التأثير الإنساني ، وقد احتجت الطيور على هذا الاختصار الذي لم يتضمنها ـ كالوصايا السبع ـ بنصٍّ صريحٍ؛ فهي لا تدب على أربع أرجل.

ولكن « سنوبول » جادلها فى ذلك شارحاً أنَّ أجنحة الطيور إنما هي من قبيل أجهزة الحركة والانطلاق، وليست أيدي للإمساك واقتراف الإثم كالإنسان؛ ولذلك فإنَّها تُعتبر أرجلاً !

ولم تكن الطيور لتفهم فحوى هذا الجدل المنطقي، إلَّا أنَّها تقبَّلت هذه الفكرة فى صورتها البسيطة، وعمدت إلى تعلُّم الوصية: « ذوات الأربع أخيار ! ذوو القدمين أشرار ! »، وظلت ترددها لأنفسها لسَّاعاتٍ طويلة دون كلل أو ملل.

ظلّ « نابليون » غير مهتم بلجان « سنوبول » مدعياً أنَّه لا جدوى في تعليم الحيوانات كبيرة السن، وأن الاشتغال بذلك إضاعة للجهد والوقت، والرأي عنده أنَّ الحيوانات صغيرة السن أولى بالتدريب والتعليم !

وبعد موسم الحصاد وضعت الكلبتان « جيسى »، و« بلوبل » تسعة جراء، وحينما بلغت هذه الجراء سن الفطام أبعدها « نابليون » عن الكلبتين واستحوذ عليها ليتولى بنفسه مسؤولية تعليمها، وقد عزلها عن بقية حيوانات المزرعة فى حجرةٍ مهجورةٍ تعلو مخزن الأدوات، لا يمكن الوصول إليها إلَّا بسُلَّمٍ، وسرعان ما نسيت الحيوانات أمر وجودها، وانشغلت الحيوانات فى أمور جديدة، فقد فطنت أخيراً إلى سرِّ اختفاء اللَّبن وعرفت أنَّ الخنازير تختص به فى أكلها، وكذلك كان الأمر بالنسبة لبواكير محصول التفاح؛ فقد أصدرت الخنازير أمرها بجمع ما تقذفه الرياح منه وتقديمه لأكل الخنازير وحدها، وقد أثار هذا التمييز سخط الحيوانات؛ فقد كان المفهوم أنَّه سيوزع بالتساوي، إلَّا أنَّ الخنازير كانت قد أجمعت رأيها على هذا القرار

بدون استثناء بما فى ذلك « سنوبول »، و« نابليون » معا ، فلم تجد الحيوانات بداً من الإذعان. وقد بعثت الخنازير « سكويلر » مندوباً عنها لإقناع الحيوانات بشرعية هذا الإجراء، فأمر بجمعها ثُمَّ خطب فيها قائلاً :

ـ أيها الرفاق، حاشى لكم أنْ تظنوا أنَّ مبعث هذا الإجراء من قبيل الأثرة والتمييز؛ فإن كثيراً من الخنازير لا تطيق طعم اللَّبن والتفاح، وإنَّني شخصيًّا من هذه الزمرة ! إلَّا أنَّنا مضطرون لذلك اضطراراً فإن الغرض الحقيقي وراء هذا القرار هو حفظ حصتنا معشر الخنازير وفقاً للأصول الطبيَّة التى تحتم تقديم مثل هذه الوجبات إبقاء على طاقتنا الذهنية حتى نتمكَّن من مواصلة أعمالنا في التنظيم والإدارة والأعمال المناطة بنا والتى تعتمد عليها المزرعة؛ فكما ترون أيها الرفاق : من أجلكم أنتم نشرب نحن اللَّبن ونأكل التفاح ! ألا تعلمون ما الذي يمكن أن يحدث لكم إذا ما فشلت الخنازير فى مهامها ؟ إنَّ « جونز » يعود ثانياً، نعم « جونز » بنفسه أيها الرفاق !

وكان يخطب وقد أخذه الحماس فهو يهز ذيله على حين ينتفض من جانبٍ لآخر!

واستطرد :

ـ مَنْ منكم أيها الرفاق يرغب فى عودته ؟

وبالتأكيد لم تكن بين الحيوانات من تقبل هذا؛ ولذلك فقد أسرعت بالموافقة على قرار الخنازير فى ضوء هذا الشرح الذي أوضح ضرورة المحافظة على صحَّة الخنازير موفورة وتخصيص اللَّبن لها؛ وكذلك بواكير التفاح، بل محصول التفاح كُلَّه عند نضجه !!

الفصل الرابع

معركة الثاني عشر من أكتوبر

Animals triumph !!

فى أواخر الصيف ترامت الأنباء بأحداث مزرعة الحيوانات حتى غطت نصف مساحة إنجلترا، وفى كُلِّ يوم كان « سنوبول »، و« نابليون » يرسلان حملات دعائية عن طريق الحمام إلى سائر الحيوانات، يحمل لها رسالة الثورة، ويُعلِّمها نشيد الثورة « يا وحوش إنجلترا ». وفى ذلك الوقت كان مستر « جونز » قابعاً فى حانة « الأسد الأحمر » في « ويلنجدون » يبث شكواه لأي إنسان يقبل إضاعة وقته بالاستماع إليه عن حيوانات مزرعته الغبية التى لا تصلح لشيءٍ، وبرغم ذلك فقد استولت عليها !!

وعادةً ما كان الزارعون يتعاطفون ومستر « جونز » وإن لم يُبدوا أوَّل الأمر اهتماماً جدياً بمساعدته, بل إن كثيراً منهم كان يحاول أن يصطاد في الماء العكر مستفيداً من مأساته التي يظلّ يُردِّدها !

وكان من حُسن حظ الحيوانات الثائرة أن جاريها صاحبي المزرعتين المحيطتين بها كانا دائماً على علاقةٍ سيئةٍ بعضهما ببعض.

وكان صاحب المزرعة الأولى مستر« بلنكنجتون»، واسم مزرعته « فوكس وود »، وكانت متسعة الرقعة إلَّا أنَّها مهملة وبدائية فى إدارتها؛ كما كانت أشجارها معمرة، ومراعيها قد دب فيها التلف، وكذلك كانت أسوارها في أسوأ حال، وكان مالكها مستر« بلنكنجتون » من الأعيان المرفهين الذين يقضون جل وقتهم فى الصيد والرحلات !

أمَّا المزرعة الأخرى«بنشفيلد » فقد كانت أصغر حجماً وأحسن إدارة، يملكها مستر« فردريك » وهو رجل سيئ المعاملة له الكثير من المنازعات القضائيَّة، متشدد ذو دهاء.

وكان الجاران خصمين لدودين وعلى خلافٍ دائمٍ ولو تعرَّضت فى سبيل ذلك مصالحهما الخاصَّة لأبلغ الضرر! ولما دبت الثورة في مزرعة مستر « جونز » التى تجاورهما فقد خشيا تمرُّد حيواناتهما؛ ولذلك فقد كانا شديدي الحرص على إخفاء ما يتعلَّق بهذه الثورة عنها، وكانا يتظاهران فى أوَّل الأمر بعدم الاهتمام بانقلاب الحيوانات، ويسخران من فكرتها، وكانا في قرارة نفسيهما متيقنين من فشل الثورة، وأنَّها لن تدوم أكثر من أسبوعين، وأنَّها ستنتهي حينما تشرف هذه الحيوانات على الموت جوعاً، وكانا يصران على تسمية هذه المزرعة باسمها القديم «مانور»، ولا يطيقان ذكر اسمها الجديد « مزرعة الحيوان » !!

ولمَّا تمَّ نجاح « مزرعة الحيوان » ولم تتحقَّق نبوءة الجارين فى فشلها السريع ابتدأ الجاران في التودُّد بعضهما إلى بعض وأخذا يشيعان أبشع الشائعات عن « مزرعة الحيوان »، وكيف أنَّ الحيوانات بها قد رجعت إلى سيرتها الأولى فى التوحش، فأصبحت تأكل بعضها بعضاً؛ كما أصبحت الإناث فيها مشاعاً لجميع الذكور ! وأن مثل هذه الأحداث إنما هي فى رأيهما النتيجة المنطقية للخروج على ناموس الطبيعة !

غير أن هل هذه الشائعات لم تجد صداها بين الحيوانات في جميع المزارع الأخرى التي كانت تفخر بالثورة وتتيه إعجاباً، حتى إنَّها كانت تنسب إليها أمجاداً خاليةً، ودبت حالة من التذمُّر والعصيان بين الحيوانات فى عموم البلاد كُلَّها؛ فقد توحشت الثيران التي كانت طيعة، وحطمت الأغنام أسوار مزارعها، والتهمت البرسيم عنوة، كما رفضت الأبقار الاستسلام للحلابين، وقذفت بالدلاء بعيداً، وأصبحت خيول الصيد عنيدة تمتنع عن القفز على الحواجز؛ فهي تتوقف أمامها فجأة ملقية براكبيها على الأرض فى للجانب الآخر من الأسوار!

وذاع نشيد الثورة « يا وحوش الثورة » بسرعةٍ مذهلةٍ، ولم يستطع الآدميون كبح جماح غيظهم عند سماعه وإنْ تظاهروا باستخفافهم بمحتواه ! وزعموا أنَّه غاية فى التفاهة بحيث إنَّهم يدهشون لتعلُّق الحيوانات به. وكانوا يجلدونها فى الحال إذا ما ضبطوها متلبسة بالغناء !

وبرغم هذه الإجراءات الصَّارمة فإن سرعة انتشار النشيد لم تتوقف، فالعصافير كانت لا تتواني عن ترديده من فوق الأشجار المُحيطة بالمنازل والمزارع، والحمام يشدو به فوق أشجار الدردار[1]، وفى أبراج الكنائس كانت الطيور تتغنى به؛ حتى أصبح النشيد ينغص على البشر حياتهم، وينذرهم بمصيرهم المحتوم !!

وفى أوائل أكتوبر(تشرين الأوَّل) حينما فرغت الحيوانات بمزرعة الحيوان من حصاد الحنطة وتأهبت لدراسها، إذا بها فى ذات يوم تبصر بالحمام وهو يطير إليها بسرعةٍ ويحط بفناء المزرعة وينذرها، وهو فى حالة فزع شديد، بأن « جونز »

(1) أشجار الدردار: هي شجرةٌ جميلة المنظر تُستخدم لظلها، وخشبها الجيد للبناء. يوجد منها20 نوعاً، وتوجد بشكلٍ رئيس في شمال المنطقة المعتدلة الحرارة. وهي تنمو بمحاذاة الجداول والمنحدرات السفلى من الروابي حيث تكون الأرض جيدة السقي. يصل ارتفاع شجرة الدردار من 24 إلى30 متر، وتعيش أكثر من150 سنة. (المُعد).

ورجاله وستة آخرين من مزرعتي « فوكس وود »، و« بنشفيلد » قد دخلوا عبر البوابة الكبيرة ذات العوارض الخمس وهم يتجهون فى طريقهم إلى مباني المزرعة يقودهم مستر « جونز » وهو مُدجَّج بالسلاح في محاولةٍ لاستعادة المزرعة المسلوبة من قِبل الحيوانات !!

ولمَّا كان مثل هذا الهجوم متوقعاً فإن جميع الترتيبات كانت معدة لصده، وكان « سنوبول » قد قرأ كتاباً قديماً بالمزرعة عن الخطط الدفاعيَّة فى معارك « يوليوس قيصر »[1]، وعلي ضوئه وزع خطة الدفاع وأدوار المُدافعين، وعندما أصدر « سنوبول» أمره بالتنفيذ كان كُلّ حيوان وطائر فى موقعه، وحين اقترب الرِّجال من مباني المزرعة شن « سنوبول » هجومه الأوَّل فقد حوَّمت[2] خمس وثلاثون حمامة فوق رءوس المهاجمين وعلى ارتفاعٍ منخفضٍ وهى تلقى بقاذوراتها عليهم، وبينما الرِّجال يتعجبون لهذا الهجوم المفاجئ خرج عليهم الإوز من مكمنه خلف السور وهو يعضهم بوحشيةٍ فى عضلات أرجلهم، ولم يكن مثل هذا الهجوم الخفيف إلَّا من قبيل المناوشات التي تسبق المعركة بغرض إيقاع الارتباك في صفوف المُهاجمين !

وقد صدّ الرِّجال هجوم الإوز والحمام بعصيهم الغليظة بسرعةٍ وسهولةٍ، عندئذ شرع «سنوبول » فى تطبيق خطة الهجوم (الثانية) فقد خرج « بنيامين » و« موريل » وجميع الغنم يتصدرهما « سنوبول »، وقابلت الرِّجال بالنطاح[3]

---

(1) يوليوس قيصر: Julius Caesar ، الإمبراطور الروماني، وُلد في 13 يوليو عام 100قبل الميلاد، وتوفي في 15 مارس عام 44 قبل الميلاد. وهو أوَّل مَنْ أطلق على نفسه لقب: (إمبراطور)، وتولى الحكم في 29 أكتوبر عام 49 قبل الميلاد حتى وفاته. (المُعد).

(2) حوَّمت: نقول: حوَّم الطَّائر، أي حام، وحلَّق في الهواء، وقد بسط جناحيه دون تحريكهما من مرتفعٍ إلى منخفضٍ. (المُعد).

(3) النطاح: نطَحَ، يَنطَح، نَطْحًا، فهو ناطح، والمفعول مَنْطوح ونطيح، نقول: نَطَحَهُ الثَّوْرُ، أي ضَرَبَهُ بِقَرْنِهِ. (المُعد).

والنخس[1] والرفس[2] من كُلِّ صوب، وفى كُلِّ مكان، ولكن الرِّجال قد تمكنوا أيضاً من صدها بعصيهم وأحذيتهم، وبصرخةٍ من «سنوبول» متفق عليها كإشارة انسحاب فرت الحيوانات إلى فناء المزرعة !

وهلَّل الرِّجال بالنصر السَّهل السريع؛ فقد غرهم فرار الحيوانات أمامهم، وانطلقوا يتعقبونها بغير نظام، وكان ذلك ما يرمى إليه « سنوبول » تماماً، وما كاد الرِّجال يدخلون إلى الفناء حتى خرجت عليهم فجأةً الخيول الثلاث، والبقرات الثلاث، وبقية الخنازير التي كانت مختبئة بمكمنها فى حظيرة البقر، وقطعت عليهم خط الرجعة، وأعطى « سنوبول » إشارة الهجوم، وانطلق بنفسه مهاجماً مستر « جونز» الذي لمحه فبادره برصاص بندقيته وأصابه بإصابةٍ سطحيةٍ فى ظهره؛ كما أصابت رصاصته الطائشة نعجة فأردتها قتيلاً، وبدون تردُّد وبرغم إصابته قذف « سنوبول » بكُلِّ ثقله علي قدمي « جونز » الذي انكفأ على وجه فى الروث[3] على حين صارت بندقيته بعيداً عن يديه !

أمَّا المنظر الذي كان رهيباً حقاً فهو « بوكسر » الذي أقعى[4] على رجليه الخلفيتين ضارباً أعداءه برجليه الأماميتين ذوات الحدوات الحديديَّة، وقد أصابت ضربته الأوَّلى جمجمة عامل إسطبل من مزرعة «فوكس وود »، فنطرح على وجهه أرضاً فى الوحل لا أثر فيه للحياة ! وكان لهذا المنظر أثره على بعض الرِّجال الذين انتابهم الذعر فألقوا بعصيهم وهم يحاولون الفرار، وما لبثت الحيوانات أن انطلقت

---

(1) النخس: نخَسَ، يَنخُس، نَخْسًا، فهو ناخس، والمفعول مَنْخوس، نقول: نخَس الدابّةَ، أي طَعَن مؤخَّرها أو جنبَها. (المُعد).

(2) الرفس: نقول: تَعَرَّضَ لِلرَّفْسِ، أي للضَّرْبِ بِالْأَرْجُلِ في الصَّدْرِ. (المُعد).

(3) الروث: ما يُخرجه ذو الحافر من الغائط. (المُعد).

(4) أقعى: نقول أَقْعَى في جلوسه، أي جلس على أَليتيه ونصَبَ ساقيه وفخذيه. (المُعد).

تعدو فى إثرهم فى فناء المزرعة وهى تعضُّهم وترفسهم وتنطحهم وتدوس مَنْ يقع منهم على الأرض ! وكان كُلّ حيوان منها يمارس طريقه الخاصَّة فى الانتقام !!

وكذلك فقد قفز القط من فوق السور على كتفي رجل من رُعاة البقر وقد نشب[1] أظفاره فى عنقه ممَّا جعله يصرخ بشدةٍ ! وعند اللَّحظة الأوَّلى التي استبان الرِّجال مخرجاً لهم من فناء المزرعة انطلقوا نحو البوابة يبغون النجاة إلى الطريق !

وهكذا انجلت المعركة بعد خمس دقائق عن فرار الرِّجال من حيث أتوا يشيعهم الإوز بالعضِّ في أرجلهم! وبقى عامل الإسطبل الذي طرحه «بوكسر» فى الوحل منكفئاً على وجهه، على حين كان يحاول « بوكسر » أن يقلبه والرَّجل لا يبدى حراكاً، وبدا على « بوكسر » التأثُّر الشديد، وصاح بصوتٍ متهدجٍ:

ـ لقد مات ولم أكن أتعمد قتله ! فقد نسيت أنَّ فى رجلي حدوة حديدية ! مَنْ سيصدق أنَّني لم أكن أتعمد قتله !؟

فقام « سنوبول » بتطييب خاطره، قائلاً:

ـ لا عليك من العواطف أيها الرفيق ! فإنَّ الحرب هي الحرب، ولن نجد فى البشر إنساناً صالحاً إلَّا الموتى منهم !

.. فأجابه « بوكسر »، وعيناه مبللتان بالدموع:

ـ إنَّني لا أطيق القتل حتى لو كان آدميًّا !

.. ثُمَّ صاحت فجأةً إحدى الحيوانات، وهي تتساءل:

ـ أين « مولى »؟

.. وكانت « مولى » بالفعل متغيبة طوال المعركة وبعدها، وانشغلت للحيوانات بأمرها فربما أصابها أو اختطفها أحد من الرِّجال، وأخيراً عثرت عليها الحيوانات

---

(1) نشب: نقول: تَنْشِيبُ الأَظَافِرِ فِي الجَسَدِ، أي غَرْزُهَا. (المُعد).

وهى مختبئة فى مخزن الدريس وقد دفنت فيه رأسها من الذعر منذ أن سمعت دوى الرصاص !! وحينما اطمأنت الحيوانات لوجودها سليمة رجعت ثانياً إلى الفناء، وكان العامل المطروح علي الأرض قد اختفى وقد انتهز فرصة غيابها، ففر بجلده بعد أن أفاق !!

واجتمعت الحيوانات بعد ذلك وقد استبد بها الحماس، تحكى كُلّ منها عن دورها في المعركة؛ وبدون إعداد سابق احتفلت احتفالاً حماسيًّا مرتجلاً بالانتصار ورفعت العلم، واستمرت فى ترديد نشيد « يا وحوش إنجلترا » مرَّات متتاليات. كما أقامت جنازة مهيبة للنعجة القتيلة، وقامت بدفنها، ثُمَّ زرعت على قبرها نبات الصَّبار[1]، والقي « سنوبول » على قبرها كلمة مقتضبة عن وجوب الفداء والتضحية فى سبيل الحق والعدالة.

واتفقت بالإجماع على توزيع النياشين الحربيَّة للأبطال من مرتبة (بطل البهائم) من الطبقة الأُوَلى تخليداً للانتصار، واتفق على منحه للبطلين « سنوبول »، و«بوكسر »، وكانت الأوسمة عبارة عن حليات نحاسية كان مستر « جونز » يزين بها خيوله عند خروجه أيام الآحاد، كما اتفق على منح النعجة النافقة وسام (بطل البهائم) من الدرجة الثانية.

وبعد نقاش طويل اتفق على تسمية المعركة التي انتهت بالنصر الساحق (معركة زريبة البقر) تيمناً بـ « الزريبة »[2] التي اختبأت فيها، وباغت منها عدوها !

وقد وُجدت بندقية مستر « جونز » فى الوحل، فقرَّرت استعمالها كمدفعٍ يُطلق

---

(1) نبات الصَّبار: أي نبات ينتمي إلى الفصيلة الصباريَّة. فمعظم أنواع الصَّبار تعيش في الظروف والبيئات الصحراويَّة، لهذا يُضرب المثل بهذه النباتات في تحمُّل العطش والجفاف الذي قد يمتد لسنواتٍ طويلةٍ. وينتج بعضه ثماراً، مثل: التين الشوكي. (المُعد).

(2) الزريبة: حظيرة للأبقار والغنم . (المُعد).

فى المناسبات؛ كما كان لديها ذخيرة من الخرطوش فى مخزن مستر« جونز ».

وقرَّرت تثبيت البندقية تحت سارية العلم، وأن يحتفل بإطلاقها مرَّتين في العام، الأولي في ذكري (معركة زريبة البقر) في اليوم الثاني عشر من أكتوبر(تشرين الأوَّل), والأخرى في يوم عيد (منتصف الصَّيف)، وهو يوم عيد ثورتها ضد مستر « جونز ».

***

الفصل الخامس

الحقد الأعمى !!

Blind hatred !!

أقبل الشتاء وأصبحت « مولى » مصدراً للمتاعب أكثر وأكثر، فهي دائمة التأخُّر عن مواعيد العمل كُلّ صباح، وتنتحل الأعذار المختلفة، فأحياناً تدّعي بأنَّها تُعانى آلاماً شديدةً برغم ما تتمع به من شهيةٍ ممتازة عند الأكل !

كما كانت تختلق شتى المعاذير لتترك العمل، ثُمَّ تجرى بخفةٍ إلى البركة كي تتطَّلع طويلاً فى صفحة المياه إلى صورتها ! ثُمَّ سرت بين الحيوانات شائعات خطيرة عن علاقاتها المريبة !

وبينما كانت « مولى » تتطلَّع إلى جمال ذيلها وهى تمضغ الدريس، أقبلت عليها « كلوفر » وانتحت بها جانباً وهى تنبئها أنَّ لديها الخطير من الأمور، فقد شاهدتها من بعيدٍ عند الصباح وهى تنظر نحو السور الذي يفصل «مزرعة الحيوان » عن مزرعة « فوكس وود »؛ كما شاهدت أحد رجال « بلكنجتون » يتحدَّث إليها عبر هذا السور!

.. وتساءلت « كلوفر »:

ـ ما معنى ذلك يا « مولى » ؟

.. وهنا تلجلجت « مولى » قائلةً:

ـ لم أكن هناك، هذا زور وبهتان !

.. قالت هذا وهى تشب[1] برأسها، ثُمَّ تحفر الأرض بحافرها؛ وقاطعتها « كلوفر » :

ـ انظري فى عينيَّ، هل تقسمين أنَّ هذا الرَّجل لم يكن يداعب أنفكِ ؟

.. فردت « مولى » ، وهى تشيح بوجهها :

ـ إنَّ هذا ليس صحيحاً..

.. ثُمَّ انطلقت تعدو هاربة فى الحقل !!

.. ولاح خاطر بذهن « كلوفر » فانطلقت فى صمتٍ إلى مربط « مولى » وقلَّبت القش بحافرها، فوجدت تحته قطعاً من السكر، ولفات من الشرائط مختلفة الألوان!!

وبعد ثلاثة أيام من هذا الحادث اختفت « مولى » من المزرعة، ثُمَّ علمت الحيوانات بعد ثلاثة أسابيع من هروبها بنبأ وجودها فى الجانب الآخر من بلدة «ولنجدون»؛ فقد رآها الحمام وهى مسرجة إلى عربةٍ صغيرةٍ حمراء خارج مبنى بلدية المدينة، على حين كان رجل سمين أحمر الوجه يشبه عمال البلدية يُداعب أنفها، ويطعمها بقطع السكر؛ كما كان عليها سرج أنيق ويزين رقبتها شريط أرجواني، وكانت تبدو عليها معالم السَّعادة الغامرة ! هكذا قال الحمام، وبعد ذلك لم يعد أحد بالمزرعة يتحدَّث بشيءٍ عن « مولى » !!

وفى يناير كان الطقس قاسياً، وكانت الأرض مُغطاة بطبقةٍ صلبةٍ من الجليد، ولم يعد بالحقل عمل يؤدَّى؛ ممَّا أتاح للحيوانات فرص الالتقاء فى اجتماعاتٍ طويلةٍ بالخطيرة الكُبرى. وكانت تدور المناقشات حول برامج عمل الموسم المقبل، وكان

---

(1) تشب: شَبَا الشيءُ، أي عَلا. (المُعد).

من المسلم به بين الحيوانات أن تترك رسم سياسة إدارة المزرعة إلى الخنازير لما تتمَّع به من ذكاءٍ، وكانت هذه السياسات تطرح بعد ذلك للتصويت وتُقرَّر بأغلبية الآراء، وربما قُدر لهذا الأسلوب النجاح لولا النزاع القائم والمستمر بين « سنوبول»، و« نابليون »، إذ يتربص كُلّ منهما بالآخر، فإذا ما اقترح أحدهما زراعة الشعير احتج الآخر بتفضيل زراعة القرطم [1] ! وإذا ما قال أحدهما إن أرضاً مُعيَّنة تصلح لزراعة الكرنب احتج الآخر بأنَّها لا تصلح إلَّا للبطاطس !

وكان لكُلٍّ منهما أتباعه الذين يناصرونه بحماسٍ عند التصويت، وكانت لـ «سنوبول » دائماً الغلبة عند الاقتراع نظراً لبراعته الجدلية برغم ما يتمتَّع به « نابليون» من براعةٍ فى التخطيط وحشد الأنصار، وكانت الأغنام تدين له بالزعامة؛ ولهذا فقد كان يوعز إليها بمقاطعة « سنوبول » فى اللَّحظات الحاسمة بهتافٍ غريبٍ: (ذوات الأربع أخيار ! وذوو الرجلين أشرار).

وفى حقيقة الآمر فإنَّ « سنوبول » كان باحثاً مجتهداً وقد درس باستفاضةٍ أعداداً من المجلات المتخصِّصة في أصول الزراعة والتربيَّة الحيوانيَّة سبق أن وجدها في مخلفات مستر « جونز »، وكانت لديه مشروعات عدة لتحسين الصرف وأصول التخزين، وتسميد الأراضي، وقد قام بوضع خطة مُعقَّدة تقوم بتنفيذها جميع الحيوانات بقضاء حاجتها من الروث مباشرة في الأوقات والأماكن الإستراتيجيَّة من الحقل اختصاراً للجهد في عمليات النقل. ولم يكن لـ « نابليون » خطط مثيلة إلَّا أنَّه اتهم « سنوبول » بالتعويق وحُبّ للجدل وإضاعة الوقت !!

---

(1) القَرْطَم: أو نبات العَصفر، هو أحد النباتات الحوليَّة مِن العائلة المركبة كثيرة التفريع. يتحمَّل القرطم الملوحة في حدودِها المعتدلة، وهو نبات اقتصادي يُزرَع لاستخراج الزيت من بذورِه، كما أن له استخدامات متعدّدة. يتواجد بأصنافٍ متعددة تصل إلى14 نوعاً، وبألوانٍ مختلفة. يرجع الموطن الأصلي لمعظم أنواع القَرْطَم لمنطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، إلَّا أنَ هناك بعض الأنواع منشؤُها منطقةُ الشرق الأقصى (الصين واليابان). (المُعد).

وكان من أعصف الخلافات بين الخنزيرين ما دار بينهما من مناقشةٍ بخصوص مشروع بناء طاحونة هوائية، ففى المرعى الممتد أشار « سنوبول » إلى بقعةٍ مُعيَّنةٍ من الأرض قريبة من الربوة بعد أن اختبر تربتها، وزعم أنَّها المكان الأمثل لتشييد الطاحونة التى يمكن منها توليد الكهرباء لإنارة الحظائر ولتدفئتها فى الشتاء، كما يمكن بها تركيب منشار كهربائي لنشر الأخشاب، وكذلك مطحنة، وآلة لدرس الغلال، وكذلك إدخال آلات الحلب الكهربائي، وهى أمور لم تكن للحيوانات قد سمعت بها من قبل؛ فهي تعيش بمزرعةٍ عتيقةٍ، كُلّ ما بها من أدواتٍ وآلاتٍ بدائي للغاية؛ ولذلك فقد استبدت بها الدهشة وهى تسمع لشرح « سنوبول » عن آلاته العجيبة التى ستقوم بالأعمال الشَّاقة بدلاً منها على حين ترعى هي فى سلامٍ وتستغل أوقات فراغها في الثقافة والتفكير !

وفي غضون أسابيع قليلة كان « سنوبول » قد انتهى من رسمه لتصميم الطاحونة مستعيناً فى التفاصيل الآلية (الميكانيكيَّة) بثلاثة مراجع قديمة بالمزرعة، هي: «ألف شيء يمكنك القيام به من منزلك »، و« كُلّ رجل يستطيع أن يبنى بنفسه »، و« علم الكهرباء للمبتدئين ».

وقد اتخذ « سنوبول » مكتباً خاصًّا لتنفيذ رسومه في حجرةٍ صغيرةٍ كانت تستعمل قديماً كحضانةٍ للبيض، ذات أرضية خشبية، وكان « سنوبول » يخلو بنفسه لساعاتٍ طوال بين كتبه، وبين استعماله لقطعةٍ من الطباشير يُخطط بها علي الأرض وهو فى حالة انفعال شديد ! وبمرور الأيام تحوَّلت تلك الخطوط إلى رسوم مُعقَّدة ذات تروس وأعمدة تملأ نصف أرضية الحجرة !

ولقد كانت الحيوانات وكذلك الطيور تحضر للمرسم كُلّ يوم مرَّة على الأقلِّ تمعن فى الرسم وكان من منغصات حياتها أنَّها لا تستطيع أن تقرأ رموزه ! أمَّا «نابليون» فقد أحجم عن الحضور، أو مشاركة الحيوانات فى اهتمامها؛ كما أعلن صراحة أنَّه يُعارض فكرة إقامة الطاحونة.

وذات يوم دخل « نابليون » إلى حجرة الرسم وتطلَّع متهكماً برسوم التصميم، ودار حولها بتؤدةٍ وتمعُّنٍ، ثُمَّ توقف فى ركن الحجرة ناظراً إليها ثانيةً بطرف عينه، ثُمَّ رفع فجأة إحدى رجليه وبال عليها، ثُمَّ خرج بعد ذلك دون أن ينبس بكلمةٍ !!

وكعادة الحيوانات فى الخلاف على الرأي فقد انقسمت على أنفسها ما بين مؤيد للبناء ومعارض، وخصوصًا أن « سنوبول » نفسه لم ينكر الصعوبات الجمَّة التى تعترض تنفيذ مشروعه؛ فإنَّ على الحيوانات أن تحمل الأحجار إلى الموقع ثُمَّ تبنيها وفقاً للتصميم؛ كما أنَّ هذه الطاحونة تحتاج إلى مراوح لكي تعمل، وكذلك ينبغي إيجاد الأسلاك الكهربائية والمولد الكهربائي (ولم يكن « سنوبول » قد ذكر الكيفية التى يمكنها بها الحصول على الأدوات الكهربائية)، وقد قطع « سنوبول » على نفسه العهد بالانتهاء من بناء الطاحونة فى ظرف عام واحد.

أمَّا « نابليون » فقد أعرب عن رأى مخالف في ضرورة ترك الكماليات من الأمور إلى الضروريات؛ كمضاعفة العمل لزيادة إنتاج الحاصلات الغذائيَّة. وقد أبدى تخوفه إذا ما وجهت الحيوانات جهودها في بناء الطاحونة أن ينخفض الإنتاج الغذائي؛ ومن ثَمَّ تتعرَّض للمجاعة.

وانقسمت الحيوانات إلى فريقين لكُلٍّ منهما شعاره: فالفريق الأوَّل يدعو لمشروع « سنوبول » الذي يُحقِّق خفض عدد أيام العمل بالأسبوع إلى ثلاثة فقط، أمَّا الفريق الثاني فقد رفعوا شعار « نابليون » فى العمل على زيادة الإنتاج.

وكان الوحيد الذي بقى على الحياد في هذه المهاترات هو الحمار « بنيامين » الذي كان يشك فى إمكان تحقيق البرنامج الأوَّل من تشييد الطاحونة وما يتبعها من تخفيض ساعات العمل، وكذلك البرنامج الآخر وإمكان زيادة الإنتاج، وكان يقول:

ـ إنَّ الحياة هي الحياة بكُلِّ ما فيها من شقاءٍ سواء شيدت الطاحونة أو لم تشيد!!

وبجانب المناقشات العنيفة عن الطاحونة فقد دارت بالمزرعة مناقشات مثيرة

حول ضرورة تحصين المزرعة استعداداً لجولاتٍ أخرى قد يقوم بها الآدميون لإعادة مستر « جونز » إلى مزرعته مرَّة أخري للثأر من هزيمتهم في معركة حظيرة البقر!

وكانت الحيوانات ترجح أن يقوم الآدميون بمثل هذه المحاولات بعد أن انتشرت أخبار المعركة؛ ممَّا أوجد روحاً من المقاومة السَّلبيَّة بين عامَّة حيوانات المملكة.

وكما هو الحال دائماً فإن خلافاً قد نشب بين « نابليون »، و « سنوبول »، فقد كان رأى الأوَّل هو ضرورة جلب الأسلحة وتمرين الحيوانات على كيفية استعمالها، على حين كان رأى « سنوبول » إرسال بعثات دعائية من الحمام ونشر مبادئ الثورة بين الحيوانات الأخرى فى جميع المزارع. واحتج « نابليون » بأن التسليح أمر حيوي؛ وإذا ما عجزت الحيوانات عن الدفاع عن أنفسها فإن مصيرها المحتوم آتٍ لا ريب !

وكانت الحيوانات تستمع للرأيين وإن كانت لا تستطيع أن تستقر على رأيٍ منهما؛ فقد كانت في حالة انسجام وقتي مع كلا المتكلمين حتى ينتهيا من حديثهما.

وأخيراً حلّ اليوم الذي انتهى فيه « سنوبول » من إتمام تصميماته، وفي صباح يوم الأحد اجتمعت الحيوانات بمبني الحظيرة للتصويت على فكرة ابتداء العمل بالطاحونة، وبينما كان « سنوبول » منهمكاً في عرض أفكاره أخذت الأغنام تقاطعه من وقتٍ لآخرٍ، ثُمَّ وقف « نابليون » معارضاً وشارحاً أنَّ المشروع محض هراء ! وأنَّه ينصح زملاءه بالتصويت ضده، ثُمَّ جلس في مكانه بعد أن تكلم ثلاثين ثانية غير مكترث بما تركته من أثرٍ!

وعندئذ قام « سنوبول » مدافعاً عن فكرته، وحينما ابتدأت الأغنام فى مقاطعة حديثه صرخ فيها طالباً الصَّمت وقد قدَّم عرضاً وافياً لما يمكن أن تؤديه الطاحونة لرفع مستوى معيشة الحيوانات وتخفيف أعباء العمل فى عباراتٍ رشيقةٍ، وأطلق العنان

لخياله في المستقبل الذي يحلم به بعد اكتمال البناء، وقد استأثر بقلوب سامعيه حينما تكلم عن كيفية الاستعانة بالكهرباء في الدراس والطحين وإنارة الحظائر وتسخين المياه وتبريدها.

وفي هذه اللَّحظة الحاسمة وقف « نابليون » ملقياً نظرة ذات مغزى على غريمه « سنوبول »، وأطلق من حنجرته نداءً مبحوحاً بنغمةٍ لم يألفها منه أحد من قبل. وفى الحال سمع الحضور أصوات نباح مخيف أعقبه دخول تسعة كلاب شرسة الي مبنى الحظيرة وفي أعناقها أطواق مطعمة بالنحاس، واتجهت الكلاب إلى حيث يجلس «سنوبول » الذي فرّ مذعوراً، وما كاد يفلت من أسنانها بقفزةٍ سريعةٍ ! وفي لحظة كان « سنوبول » يولى الأدبار[1] والكلاب في أثره على حين تجمَّعت الحيوانات عند الباب لمشاهدة مجريات الأحداث وهى فى حالةٍ شديدةٍ من الرُعب!!

وكان « سنوبول » يوالي الفرار عبر المراعى متجهاً إلى الطريق العامّ في أقصى سرعة يستطيعها خنزير، والكلاب في أعقابه، وزلقت رجله فوقع ثُمَّ نهض موالياً العدو، وقد كاد كلب منها يطبق فكيه على ذيله، ثُمَّ ضاعف « سنوبول » من جريه ودلف عبر حفرة قريبة من سور المزرعة إلى الخارج، وكان هذا المشهد هو آخر عهد للحيوانات به !

***

(1) يولى الأدبار: الهُروبِ وَالْمُضِيّ بَعِيداً. (المُعد).

الفصل السادس

ميلاد الديكتاتور !!

The birth of the dictator !!

وفى صمتٍ ورعبٍ زحفت الحيوانات عائدة إلى أماكنها بحظيرة الاجتماع. وبعد فترة وجيزة عادت الكلاب (ثانياً) ولم يدر بخلد الحيوانات من أين وردت هذه الكلاب؟ ثُمَّ أسعفتها ذاكرتها بأنَّ هذه الكلاب إنما هي بعينها الجراء التى ولدتها «جيسى »، و « بلوبل » والتى عزلها « نابليون » وأخذ على عاتقه مسؤولية تربيتها! وبرغم أن هذه الكلاب لم تكن قد بلغت بعد تمام نموَّها فإنَّها كانت في ضخامة الذئاب ووحشيتها، واقتربت الكلاب من «نابليون » وهى تهز ذيلها له، كما اعتادت أُمّهاتها أن تفعل في حضور مستر « جونز » !

ثُمَّ اعتلى « نابليون » كومة من القش فى المكان المرتفع نفسه من القاعة الذي اعتلاه « ماجور » من قبل تتبعه كلابه، وأعلن أنَّه منذ هذه اللَّحظة فإنَّه يأمر بتوقف اجتماعات يوم الأحد الصباحية؛ فهي فى رأيه إضاعة للوقت من غير جدوى؛ وذكر أنَّه بخصوص المستقبل فإنَّ شتى المشكلات المتعلقة بالعمل في الحقل ستكون من اختصاص لجنة من الخنازير تحت ترأسه لدراستها في اجتماعاتٍ مغلقةٍ على أن تبلغها فيما بعد.

وأصبح النظام الجديد هو أن تجتمع الحيوانات فى صباح أيام الآحاد لتحية العلم، وترديد نشيد « يا وحوش إنجلترا »، ثُمَّ تتلي عليها الأوامر الصادرة بخصوص عمل الأسبوع كُلَّه بلا مناقشات.

وصاحب الرَّهبة والذهول التى تملَّكت الحيوانات بعد التخلُّص من « سنوبول» أشد الاستياء لهذه القرَّارات وربما اعترض بعضها، وقد كانوا بكامل الحُرِّيَّة أن يعترضوا على هذه القرَّارات لو تهيأ لهم صياغة الاعتراض، حتى « بوكسر » نفسه؛ فقد أبدى اكتئابه وامتعاضه بأن أرجع أذنيه للخلف، وهز رأسه طويلاً يميناً ويساراً، وحاول أن يفصح عن أفكاره، ولكنَّه لم يجد فى النهاية ما يقوله، وبرغم ذلك فإن بعض الخنازير كانت أكثر إفصاحاً عن غضبها؛ فقد صدرت عن أربعة منها صيحات الاستياء وقد وقفت على أرجلها الخلفية، وحينما ابتدأت فى عرض وجهة نظرها تحرَّكت الكلاب التى كانت تجلس حول « نابليون » وصدرت عنها زمجرة عميقة، فسكتت الخنازير فى الحال، واستسلمت للصَّمت، ثُمَّ انطلقت الأغنام فى ثغاءٍ عالٍ تُردِّد شعارها المختار (ذوات الأربع أخيار ! ذوو الرجلين أشرار !) ربع ساعة ؛ ممَّا استحالت معه أيّة محاولة أخري للاحتجاج !!

وبعد انفضاض الاجتماع توجه « سكويلر » إلى الحيوانات؛ ليشرح لها الوضع الجديد مبتدئاً كلامه بأنَّه على ثقةٍ أنَّ رفيقاته من الحيوانات تفهم تماماً مدى تضحية الرفيق « نابليون » بقبوله الأعباء الإضافية التى لابدّ أن تقع على عاتقه، وقال لها:

ـ لا تتصوَّروا أيها الرفاق أنَّ أعباء الزعامة سهلة أو هينة، أو أنَّها من الأمور التى تبعث على السَّعادة ! إن الرقيق « نابليون » هو أوَّل مَنْ يؤمن بأنَّ الحيوانات كُلَّها سواسية، وكان بوده أن يترك لها حُرِّيَّة اتخاذ القرَّارات إلَّا أنَّه يخشى عليها مغبة اتخاذ الحلول الخاطئة !

وتساءل « سكويلر »:

ـ كيف تكون الحال لو أنَّكم اتبعتم « سنوبول » وأحلامه المضللة، وهو كما تعلمون لا يزيد عن كونه مجرماً ؟

وقاطعته إحداها بأنَّ « سنوبول » قد أبلى بلاءً حسناً في معركة (زريبة البقر)، فرد عليها:

ـ الشجاعة وحدها لا تعنى شيئاً، فإنَّ صفات أخرى كالإخلاص والطاعة هي أكثر أهمية.

.. واستمر في حديثه، فقال:

ـ أمَّا بخصوص المعركة فسيحين الوقت الذي فيه تعرفون أنَّ كثيراً من المبالغات قد نسجها الخيال حول دور «سنوبول» ! إنَّ النظام أيها الرفاق بل النظام الحديدي هو سندنا فإن أعداءنا يتربصون بنا، وعند الكبوة الأوَّلى من جانبنا فإنَّهم سيطبقون علينا، أيها الرفاق، هل تقبلون عودة مستر « جونز » ثانياً ؟

ومن غير شك فلم تكن الحيوانات لترغب ذلك، وقد أفحمتها حجج « سكويلر»، وأنَّه لا بأس من التضحية بندوات يوم الأحد إذا ما كان في الاجتماعات ما يُهدِّد بعودة « جونز » وعصابته !!

وعندئذ تكلَّم « بوكسر »، وقال:

ـ إذا ما كان الرفيق « نابليون » قد بعثك بهذه الحجة فلا شك أنَّه صادق، ومنذ ذلك التاريخ فإنّني سأتخذ لنفسي شعار: (نابليون دائماً على حق)، بجانب شعاري الخاصّ: (سأعمل أكثر).

ثُمَّ أقبل الربيع وابتدأت الحيوانات فى حرث الأرض، على حين كان المرسم الذي سبق أن خصَّصه « سنوبول » لنفسه ما زال مغلقاً، وقد نسيت الحيوانات كُلّ ما يتعلَّق بمشروع الطاحونة بعد أن ظنت أنَّ تلك الرسوم قد محيت من الأرض.

وفي صباح يوم أحد كانت الحيوانات تجتمع في الحظيرة الكبيرة؛ لتستمع إلى

الأوامر الأسبوعيَّة، وقد أصبح برنامج ذلك اليوم يُبتدأ برفع العلم، ثُمَّ المرور فى طابور تنحني فيه الحيوانات أمام جمجمة « ماجور » العجوز التى كانت قد أخرجتها من قبره، وثبتت على قاعدةٍ، ثُمَّ وضعت تحت العلم بجوار البندقية، ثّمَّ تدخل بعد ذلك إلى الحظيرة الكبرى، ولم تعد الحيوانات تخلو بعضها إلى بعض في اجتماعاتٍ تتبادل فيها الرأي؛ كما كان يحدث سابقاً؛ فقد كان « نابليون » يتصدر المجلس وبجواره « سكويلر » في جانب « وميئيمس » وهو خنزير ضخم في الجانب الآخر، كانت له موهبة ممتازة فى تأليف الأغاني والأشعار، وتحيط بالثلاثة الكلاب التسعة على هيئة نصف دائرة، على حين تجلس بقية الخنازير خلفها، أمَّا بقية الحيوانات الأخرى فقد كانت تجلس في مواجهة « نابليون » الذي كان يتلو عليها الأوامر الأسبوعيَّة في أسلوب بلاغات عسكريَّة ! ثُمَّ ينفض الاجتماع بعد ترديد نشيد « يا وحوش إنجلترا ».

وبعد ثلاثة أسابيع من طرد « سنوبول » فوجئت الحيوانات ببلاغ من « نابليون» فى صباح يوم الأحد ينبئها فيه بوجوب الابتداء فى بناء الطاحونة بدون إبداء الأسباب، وقد حذرها من ضخامة العمل الذي ستقدم عليه ومن جوب التضحية فى سبيله بما فى ذلك احتمال تخفيض وجباتها الغذائيَّة ! وذكر أنَّ لجنة خاصَّة من الخنازير قد قبعت في الأسابيع الثلاثة الأخيرة لإعداد المشروع الجديد بعد إدخال كثير من التعديلات والتحسينات عليه؛ ممَّا يحتمل معه امتداد فترة التنفيذ إلى عامين.

وفى المساء جمع « سكويلر » الحيوانات، وذكر لها أنَّه في حقيقة الأمر لم يكن الرفيق « نابليون » معارضاً بتاتاً للمشروع، بل إن العكس هو الصحيح، وإن فكرة إنشاء الطاحونة كانت من وحيه هو، كما أذاع أنَّ الرسوم الخاصة بها كانت قد سرقت من بين أوراقه، وأنَّ المشروع من بدايته إلى منتهاه إنما هو فى الحقيقة من ابتكاره !

.. وهنا قاطعته إحداها بقولها:

ـ إذا كان الآمر كذلك ففيم إذاً كانت كُلّ معارضة « نابليون » للمشروع ؟

.. فقال « سكويلر » بخبثٍ:

ـ إنَّكم لا تعلمون بعد أيها الرفاق مدى دهاء الزعيم، لقد كان « نابليون » يتصنَّع مثل هذه المعارضة؛ ليتخلص بها من « سنوبول » ومن تأثيره السيئ وأخلاقه الذميمة ! إن ما قام به « نابليون » هو ما يُسمىَّ بالمناورات (التكتيكات Tactics).

.. وبعد فترة صمت قصيرة، قال « سكويلر »:

ـ والآن فقد حان وقت العمل بدون إبطاء.

وكان « سكويلر » منفعلاً ويميل بجسمه من جانبٍ إلى آخر ويهز ذيله بعصبيَّةٍ، ويطلق ضحكات صاخبة !

ومع أنَّ الحيوانات لم تفهم ماذا كان يعنى « سكويلر » بلفظ مناورات (تكتيكات)، فإن طريقته فى الإلقاء، وما حوله من الكلاب الثلاثة التى تصحبه، لم تدع أمامها من سبيل إلَّا الاقتناع !!

***

الفصل السابع

الطاحونة !!

The windmill !!

كانت الحيوانات تعمل كالرقيق طوال العام، ولكنَّها كانت سعيدة، فهي لا تحجم عن التضحية وبذل المزيد من الجهد، فهي موقنة أنَّ هذه التضحيات كانت من أجلها، ومن أجل ذريتها، وليست نهباً للآدميين الكسالى المستغلين!

وخلال فصلى الربيع والصيف كانت تعمل ستين ساعة فى الأسبوع، وفى أغسطس (آب) أعلن «نابليون» عن وجوب العمل بعد ظهر أيام الآحاد أيضاً على سبيل التطوُّع وبمحض الاختيار الحُرّ !

غير أنَّ الحيوانات التى لا تريد أن تتطوَّع لن يُقدَّم لها إلَّا نصف وجباتها المعتادة من الطعام ! ومع كُلّ هذا العمل المستمر فإنَّ الحيوانات قد عجزت عن الانتهاء من أداء جميع المهام الملقاة على عاتقها والتى ينبغي الانتهاء منها قبل حلول الشتاء، ومنها حقلان حان زراعتهما بالخضراوات فى مطلع الصيف، إلَّا أنَّها كانت قد تأخرت عن ذلك نظراً لعدم حرثهما في الوقت المناسب، ولمَّا كان محصول العام الماضي أيضاً أقل من سابقه فإنَّه لم يكن من العسير التنبؤ بشتاءٍ شديد القسوة.

كما اعترضت الحيوانات صعوبات لم تكن منتظرة فى بناء الطاحونة برغم توافر المواد الأوليَّة اللَّازمة للبناء في المزرعة كالأحجار والرمل والجير إلَّا أنَّه كان يتعيَّن عليها تحطيم الأحجار إلى أحجامٍ مناسبةٍ للبناء، ثُمَّ نقلها إلى موقع العمل، ولم يكن أمامها إلَّا استعمال المعاول[1] والعَتَل[2] وهو مالا يمكنها استخدامه نظراً لما يقتضيه ذلك من ضرورة الوقوف على أرجلها الخلفية والإمساك بالآلات بالأرجل الأمامية كما يفعل البشر.

وأخيراً اهتدت الحيوانات إلى فكرةٍ صائبةٍ لتحطيم الأحجار باستخدام خاصية الجاذبيَّة الأرضيَّة، وذلك برفع الأحجار الضخمة من الحجر الذي في أسفل التل بالحبال تتعاون في ذلك الحيوانات من بقرٍ وخيلٍ وغنمٍ وربما ساعدتها الخنازير في أوقات الأزمات، وكانت تربط الكتل الضخمة من الأحجار بحبالٍ، ثُمَّ تجرها إلي أعلى التل ببطءٍ حتى إذا ما بلغت القمة عادت، فتركت الحبال لتسقط الأحجار وهي تتهشم في سقوطها إلي السفح, ثُمَّ تقوم بجمع هذه الأحجار الصَّغيرة ونقلها كلٌّ وفق طاقته، فالخيل كانت تجر العربة بعد تحميلها، على حين كانت الغنم تحمل ما تطيقه منها؛ كما كان « بنيامين »، و« موريل » يستخدمان عربة الأطفال في ذلك الغرض، وينقلان الأحجار إلى موقع البناء.

وفى أواخر الصَّيف كان قد تجمَّع من الأحجار ما يكفى بناء الطاحونة، وقد شرعت فى ذلك تحت إشراف الخنازير، ولم يكن من الممكن إتمام هذا العمل الكبير الشاق لولا معونة « بوكسر » الذي كانت قوَّته منفرداً تقابل قوَّة بقية حيوانات المزرعة مجتمعة ! وكان « بوكسر » يُساهم بالنصيب الأكبر في رفع الكتل الضخمة

---

(1) المعاول: المفرد: مِعْوَلُ، وهي آلة من الحديد يُنقَر بها الصخر، أو أَدَاةٌ تُحْفَرُ بِهَا الْأَرْضُ. (المُعد).

(2) العتل: المفرد: عَتَلَةُ، وهي عمودٌ قصيرٌ من الحديد له رأْس عريض يُهدَمُ به الحائط، ويُقلَعُ به الشجرُ والحجر. (المُعد).

إلى أعلى بالحبال يشدَّها وهو يصعد وتتلاحق أنفاسه بين إعجاب رفاقه، وطالما نصحته « كلوفر » بأن يحفظ على نفسه عافيته وألَّا يسرف فى العمل المضني العنيف، ولكن « بوكسر » كان يصم أذنيه مردِّداً شعاريه المختارين: (سأعمل أكثر)، و (الحق دائماً في جانب نابليون)، وكأنَّما كانت الشعارات هي كُلّ ما يملكه من إجابةٍ.

ولقد اتفق مع ديك المزرعة أن يوقظه قبل بداية ساعات العمل المُقرَّرة بثلاثة أرباع السَّاعة، وكان يعمل فى فترات الرَّاحة القصيرة التى كانت تتخلَّل ساعات العمل ويجر الأحجار وحده، ويحملها إلى الطاحونة. وبرغم هذا الإجهاد الشديد فإن حال الحيوانات لم تكن أسوأ منها فى عهد مستر « جونز »، كما أنَّ وجباتها بعد إنقاصها لم تكن أيضاً أقلّ من المقرَّرات القديمة ! وكانت سعيدة بعملها الذي سيعود عليها بالخير، وليس لإطعام حفنة من الآدميين المتكبرين الذين لا يعملون !!

ولقد كان إحساسها بالكرامة يُخفِّف عنها العناء وما تلاقيه من الشتاء القارس؛ كما كان شعورها بتملُّك المزرعة وما عليها يمنعها من سرقة المحصول وقد وفرّ ذلك عليها كثيراً من الوقت الذي كان يضع فى بناء سياجات[1] حول الحقول لحفظها، وكذلك فإنَّ الحيوانات كانت أكثر قدرة من الآدميين فى تنقية الحشائش الضَّار من الأرض !

وعند نهاية الصَّيف تبيَّن للحيوانات أنْ أمامها الكثير من الصِّعاب بخلاف احتمال نقص المحصول، ونتيجة لذلك فقد باتت وهى تتوقَّع قضاء شتاء غاية فى القسوة، وقد تبيَّن أيضاً أنَّ كثيراً من متطلبات الزراعة لم يكن متوافراً لها كالبذور والمخصبات الكيماوية، كما كان العمل بالمزرعة يحتاج للبترول والمسامير والحبال، وكذلك (بسكويت) الكلاب وبعض الأدوات الأخرى، وكذلك كان عليها

(1) سياجات: أو السِّياجُ، وهو سور من شوكٍ، أو حائطٍ، أو غير ذلك. (المُعد).

الحصول على مولد كهربائي للطاحونة، ولم تكن الحيوانات قد وجدت حلاً لإيجاد هذه المتطلبات المُلِحَّة.

وفى صباح أحد أيام الآحاد اجتمعت الحيوانات بالحظيرة الكُبرى كعادتها لتلقى الأوامر الأسبوعيَّة، وإذا بـ «نابليون » يُعلن عليها قراره في رسم سياسة جديدة من شأنها إقامة علاقات تبادُل بينها وبين المزارع المجاورة، يمكنها بموجبها الحصول على ما ينقصها ! وقد أوضح لها أنَّ علاقة التبادُل هذه بعيدة فى مضمونها وأغراضها عن نطاق التجارة؛ كما أكَّد لها أيضاً أنَّ كُلَّ ما تحتاج إليه الطاحونة له صفة الأولوية لابدّ أن يُقدَّم على أي شيء آخر، ولذلك فقد أعلن أنَّه في سبيله إلى عقد صفقات بيع دريس وجزء من محصول القمح، وكذلك إذا ما استدعى الآمر فإنَّه قد يضطر لبيع كمية من البيض في سوق « ويلنجدون ».

وأعلن « نابليون » أنَّ الدجاج سيرحب لمثل هذا القرار على ما فيه من تضحية من جانبه مساهمة منه في إكمال تشييد الطاحونة، ومرَّة أخرى اجتاح الحيوانات شعور بعدم الارتياح، ألم تتفق من قبل فيما بينها على حظر التعامُل مع البشر أو الشراء بالنقود ؟ ألم تُقرِّر الحيوانات بالإجماع مثل هذه الأسس عقب الانقلاب وطرد مستر« جونز»؟ إن مثل هذه القرَّارات مازالت عالقة بالذاكرة، أو ربما خيل إليها أنَّ شيئاً من هذا القبيل ما زال عالقاً بالذاكرة !

وحينما وقفت الخنازير الأربعة التي تمثل المعارضة على استحياءٍ فسرعان ما عادت ثانياً إلي أماكنها بعد أن وصل إلى سمعها نباح به نبرة التهديد !!

وابتدأت الغنم في الثغاء بجلبةٍ عاليةٍ (ذوات الأربع أخيار! وذوو القدمين أشرار!). وبذلك فقد هدأت الجلسة إلى حين وخفَّت حِدة التوتُّر التى تميَّز بها الاجتماع، ورفع « نابليون » رجله الأمامية طالباً الالتزام بالسكون، وأعلن أنَّه بالفعل قد اتخذ جميع الترتيبات اللَّازمة لإدخال قراراته المُعلنة إلي حيز التنفيذ ! وأنَّه

سيأخذ على عاتقه مهمة الاتصالات مع البشر، وبذلك فإنَّه لا يجد داعياً لقيام أي اتصالات بين الحيوانات وبين الآدميين؛ كما قرَّر أنَّه عقد اتفاقاً بالفعل مع أحد وسطاء « ويلنجدون » ويدعى مستر « ويمبر »، وأنَّ هذا الوكيل سيحضر لمزرعة الحيوان فى صباح كُلّ يوم اثنين لتنفيذ التعليمات، وعندئذ أنهى « نابليون » حديثه بهتافه المعهود (فلتحي مزرعة الحيوان)، وبعد أن ردَّدت الحيوانات نشيد (يا وحوش إنجلترا) انفض الاجتماع.

وبعدئذ قام « سكويلر » بجولةٍ في المزرعة بين الحيوانات يهدئ من نفوسها وهو يؤكّد لها أنَّه لم يُتخذ من قبل أي قرار سابق، أو حتى مشروع قرار يقضى بعدم التعامُل مع الآدميين، أو يحظر التبادُل النقدي، وأنَّ الزعم بغير هذا محض خيال، أو ربما كان من الافتراءات التى روجها « سنوبول » !

ثُمَّ وجه « سكويلر » حديثه للمتشككين، وسألهم:

ـ هل تتذكرون بالفعل شيئاً عن هذا القرار أو أنَّها كانت أضغاث أحلام ؟

وسألهم كذلك:

ـ هل لديكم أيها الرفاق محضر مكتوب دونت فيه مثل هذه القرَّارات ؟

ولما لم يكن لدى الحيوانات بالفعل أي قرَّارات مكتوبة بهذا المعني فإن حديث « سكويلر » لابدّ أن يكون صحيحاً. وطبقا للاتفاق المُعلن فإن مستر « ويمبر » كان يزور المزرعة في صباح الاثنين، وهو رجل قصير القامة، ذو سوالف طويلة، يمثل المظهر التقليدي للسماسرة بكُلِّ ما فيهم من خبثٍ وبُعد نظر, وقد أدرك بدهائه أنَّ المزرعة التى تتملَّكها الحيوانات لابدّ أن تحتاج بشدةٍ إلى سمسار وأنَّ أرباحه منها لابدّ أن تكون مجزية للغاية.

وكانت الحيوانات ترقبه عند مجيئه وذهابه بشيءٍ من التخوف، وكانت تتجنبه كُلَّما أمكن ذلك، إلَّا أن منظر «نابليون » حينما كان يلقى أوامره بعظمةٍ على مستر

« ويمبر » الذي كان يقف وهو يستمع إليه باحترامٍ كان من العوامل التى خفَّفت من شعور الحيوانات بالاستياء من التعامُل مع البشر، كما كانت تشعر بالفخر إزاء هذه المواقف.

ولم تعد العلاقات بين البشر ومزرعة الحيوانات متوتِّرة كعهدها السَّابق، وخفت حِدة العداوة الشديدة بينهما وخصوصاً أنَّ الآدميين موقنين أنَّ مصير المزرعة لابدّ أن ينتهي إلى الإفلاس بدون أي تدخل من جانبهم، وأنَّ مشروع الطاحونة سينتهي بالفشل الأكيد، إمَّا بانهيار بنائها أو بالعجز عن إدارتها واستغلالها، وبرغم ذلك فقد كان الرِّجال يعجبون من كيفية إدارة الحيوانات لمزرعتها، وكان من مظاهر هذا التقدير أنْ أصبح النَّاس يطلقون على المزرعة اسم (مزرعة الحيوان)، بدلاً من اسمها القديم « مانور». وكذلك فقد كفوا عن تأييدهم لمستر « جونز » الذي استسلم للأمر الواقع، وهاجر يائساً إلى مكان آخر.

وفيما عدا زيارات مستر « ويمبر » فلم يكن بين مزرعة الحيوان والعالم الخارجي أي اتصال آخر إلَّا أنَّ بعض الشائعات كانت تروج احتمال قيام صفقات بين « نابليون » وبين جاريه مستر « بلكنجتون » صاحب مزرعة «فوكس وود»، و« فردريك » صاحب مزرعة « بنشفيلد ».

وفى ذلك الوقت انتقلت الخنازير فجأةً لتسكن في منزل مستر « جونز »، وتذكَّرت الحيوانات عندئذ قراراً سابقاً كان قد اتخذ يتعارض وهذا الإجراء، وتصدى لها « سكويلر » كالعادة لإقناعها ذاكراً لها أنَّ الخنازير تمثل العقل المدبر بالمزرعة، فلابدّ إذاً من أن يُهيّأ لها مقر هادى للعمل ! وكذلك فإنَّ كرامة الزعامة تقتضى أن يسكن «نابليون » منزلاً لائقاً به بدلاً من (الزريبة)، وكان لقب « نابليون » في ذلك الحين هو (الزعيم) !

وبرغم وجاهة هذا التفسير فإنَّ بعض الحيوانات قد أزعجها ما تردَّد من أنَّ

الخنازير أصبحت تأكل في المطبخ، وتجلس في حجرة الاستقبال، بل الأدهى من ذلك أنَّها تنام على الأسرّة ! ومع أنَّ « بوكسر » قد قابل هذه التبريرات بشعاره المألوف: (نابليون دائماً على حق) فإنَّ « كلوفر » كانت تظن أنَّها ما زالت تتذكَّر أنَّ في نصوص الوصايا السبع المتفق عليها ما يتعارض ونوم الخنازير على الأسرَّة ! ولذلك فقد ذهبت إلى الفناء وهي تحاول أن تقرأ ما دُوِّن على حائط الحظيرة الكُبرى من وصايا، ولمَّا أعجزتها القدرة على القراءة استعانت بـ « موريل » ، وطلبت منها قراءة الوصية الرابعة التى تحظر النَّوم على الأسرَّة ، وبصعوبةٍ استطاعت « موريل » قراءة ما يأتي: الوصية الرابعة: غير مسموح للحيوانات بالنَّوم على الأسِرَّة بالملاءات.

ولدهشة « كلوفر » فإنَّها لم تكن لتتذكَّر أنَّ الوصية الرابعة كانت تحتوى على لفظ الملاءات، ومع ذلك فما دامت هذه الكلمة مدونة على الحائط فلابدّ أن تكون صحيحة، وكان « سكويلر » يمر فى هذه اللَّحظة يتبعه كلبان أو ثلاثة، فاستطلع أن يوضح لها الأمور بجلاءٍ قائلاً:

ـ ربما قد سمعتم أيها الرفاق أنَّ الخنازير تنام على الأسرَّة بالمنزل ! وماذا يعيبهم فى هذا ؟ ربما تتخيلون أنَّ الوصايا السبع تنصّ على عدم النَّوم بالسرير !

ثُمَّ تساءل عن معنى كلمة السرير، فاستطرد يقول:

ـ إنَّ السرير بكُلِّ بساطة مكان مُعد للنَّوم، وكذلك فإنَّ كومة القش التى تنامون عليها بالمثل مكان مُعدّ للنَّوم ولا إثم فى ذلك، ولكن المنع جاء قبل استعمال الملاءات التى يُغطى بها السرير، وهو إثم جاءت به العقلية الإنسانيَّة الشريرة ! ولذلك فقد نزعت الخنازير الملاءات عن الأسرَّة قبل أن تنام عليها، وأبقت البطاطين فقط، وإقراراً للحق فإنَّ النَّوم على السرير مريح جدًّا، وهو ما تحتاج إليه الخنازير للرَّاحة والتفكير وتدبير أمور المزرعة ! ثُمَّ تساءل: وما أظن أحداً منكم أيها الرفاق يبخل بالرَّاحة علينا ! مَنْ منكم يفضل عودة مستر « جونز » ؟ وقد اقتنعت

الحيوانات بوجهات نظر « سكويلر » وسلامتها، ولم تعد بعد ذلك إلى الحديث عن نوم الخنازير بالأسرَّة، ثُمَّ أعلن بعد ذلك على الحيوانات أنَّ الخنازير ستستيقظ بعد مواعيد عمل المزرعة بساعةٍ في الصباح، ولم يعترض على ذلك القرار أحد !

وبحلول الخريف فإنَّ الحيوانات كانت سعيدة برغم ما حلّ بها من عناء العمل ونقص الغذاء بعد أن بيع جزء من الدريس والقمح؛ ممَّا ينذر بشتاء صعب وقاس ! على أنَّه في سبيل تشييد الطاحونة فإنَّها كانت على استعداد لاحتمال كُلّ المصاعب، وكانت قد فرغت من بناء نصفها تقريباً، وقد كانت تداوم على العمل بها منتهزة فرصة اعتدال الطقس وجفاف الجو وفراغها بعد أن انتهت من جمع المحصول. وكان «بوكسر» ينتهز فرصة طلوع القمر ليتطوَّع بالعمل ساعة أو اثنتين فى ضوئه. ومع تقدُّم البناء فإنَّ الحيوانات كانت تطوف حوله في أثناء فترات راحتها وهى معجبة بضخامته واستوائه وهى لا تكاد تصدق عينها وكان الوحيد الذي يُشاركها في هذا الحماس هو « بنيامين » الذي كان يُردِّد دون ما سبب: (إنَّ الحمير تعيش طويلاً!).

ثُمَّ أقبل نوفمبر(تشرين الثاني) برياحه الجنوبية الغربيَّة الهوجاء، وسقطت الأمطار، فتوقف العمل بالطاحونة، وفى ليلة عاصفة هزلت الرياح فيها منزل المزرعة هزاً، وأسقطت بعض قطع القراميد[1] عن سقفه، وعند منتصف اللَّيل استيقظ الدجاج على صوت فرقعة شديدة تدوي من بعيدٍ، وفى الصباح حينما استيقظت الحيوانات تبيَّن لها أنَّ سارية العلم قد تحطَّمت وأنَّ شجرة الدردار قد اجتثت من فوق الأرض، وبينما هى تشاهد هذه المناظر إذا بها تسمع صيحات يائسة تنطلق من بعضه الحيوانات وقد اكتشفت أن مبنى الطاحونة قد تحول إلى أنقاضٍ ! وهرعت

(1) القراميد: حجارة مصنوعة تُنضج بالنَّار يُبْنَى بها، أو يُغطّى بها وجه البناء. والقرمد هو كُلّ ما يُطْلى به للزِّينة كالجِصّ ونحوه. (المُعد),

إلى الطاحونة يسبقها « نابليون » مهرولاً وهو الخنزير المبجل الذي اعتاد أن يمشى علي مهل. ووقفت الحيوانات واجمة أمام ثمرة جهدها الضائع وآمالها التى تبدَّدت كالحجارة المتناثرة أمامها والتي تعبت فى نقلها وبنائها تعباً مضنياً.

وكان « نابليون » يغدو ويروح أمام الأطلال وهو يخفض أنفه إلى الأرض ويشم، ثُمَّ يعود ليشم ثانياً باهتمامٍ بالغٍ، وذيله يتحرَّك من جانبٍ لآخر وهو منتصب إلى أعلى، وكانت هذه الحركات من اللوازم التى تصاحبه عند التفكير العميق، وفجأةً كفّ عن هذه الحركات العصبيَّة السريعة, وبدا على وجهه ما يوحي باكتشافه السرّ الرهيب!

ثُمَّ تكلَّم، فقال بهدوءٍ:

ـ أيها الرفاق، هل تعلمون مَنْ وراء هذا الحادث المفجع ؟ وهل تعلمون عدوكم الذي تسربل باللَّيل ليهدم الطاحونة ؟

ثُمَّ صرخ بصوتٍ كالرعد:

ـ إنه هو الخائن الأثيم الذي قام بهذه الجريمة الشنعاء؛ لينتقم لنفسه من المهانة التى لحقته عند طرده من المزرعة !

ثُمَّ استطرد « نابليون » قائلاً:

ـ أيها الرفاق، إنَّه منذ السَّاعة فإنَّني قد أصدرت عقوبة الإعدام على « سنوبول »، فلمَنْ يأتي به ميتاً أيها الأبطال سأمنحه (وسام البهائم) من الدرجة الثانية، ونصف بوشل[1] من القمح، بل بوشل كامل لمَنْ يأتي به حيًّا.

وقد صعقت الحيوانات وهى تتعجب كيف أنَّ « سنوبول » قد استطاع أن

(1) بوشل: Bushel هو أداة قياس بريطانية وأمريكية للأحجام الجافة، والبوشل يساوي60 رطلًا، ويساوي 2188,27 كيلو جرام من القمح. (المُعد).

يدنس يديه بمثل هذه الخيانة؟ وقد علت منها صيحات الاستهجان، وتركت لخيالها العنان: ماذا ستفعل لو أنَّها استطاعت أن تمسك به ؟

وبعد قليل من البحث وُجدت آثار أقدام خنزير عند الربوة تتجه إلى سور المزرعة، ثُمَّ تختفي عند الفجوة التى سبق أن سقط فيها « سنوبول » يوم هربه ! ولقد شم « نابليون » هذه الآثار وعاد ليؤكّد أنَّها لـ « سنوبول » الذي يرجح اختباؤه بمزرعة « فوكس وود » ! وأعلن « نابليون » ضرورة الابتداء فى إعادة تشييد الطاحونة فى الحال، وصاح فى الحيوانات قائلاً:

ـ أيها الرفاق، ليس لدينا وقمت نضيعه؛ فإنَّ العمل ينتظرنا، وسنعمل وسنبنى تحت كُلّ الظروف والأوقات وفى كُلّ الأجواء، سطعت الشمس أو أمطرت السَّماء، إنَّنا سنلقى درساً على عدونا، فإلى الأمام أيها الرفاق.

.. ثُمَّ ختم نداءه بهتاف: فلتحيَّ الطاحونة ! ولتحيَّ مزرعة الحيوان !

***

الفصل الثامن

العصيان.. والخيانة !!

Disobedience .. and betrayal !!

كان شتاءً قارساً ذا جو عاصف، وقد سقط الثلج، واستمرت هذه الحال حتي شهر فبراير(شباط)، وكانت الحيوانات تبذل كُلّ طاقتها لبناء الطاحونة فى موعدها المُعلن، وهى تدرك أنَّ العالم الخارجي يتابع أنباءها، وأنَّ فشلها سيكون مدعاة لشماتة أعدائها ! ولم يكن الآدميون ليصدقوا المؤامرة المزعومة، بل يعزون أسباب تهدم البناء إلى رقة الجدران وعدم متانتها !

وبرغم أنَّ الحيوانات كانت تؤمن بما تمَّ تلقينها عن مؤامرة « سنوبول »؛ فإنَّها عند إعادة البناء قد أمرت بتعريض سمك[1] المباني بحيث يصل إلى ثلاثة أقدام[2] بدلاً من السمك القديم الذي سبق أن بنيت به وكان 18 بوصه[3] فقط، وكان ذلك يعني المزيد من الحجارة والجهد.

---

(1) سمك: سمَك الشَّيءُ: علا وارتفع، سَمَكَ البِنَاءَ : رَفَعَهُ، أَعْلَاهُ، و سمَّك الجدارَ: زاد من سُمْكه، جعله أكثر سماكة، جَعلَهُ سَمِيكاً. (المُعد).

(2) القدم: Foot، هي وحدة قياس للطول، يُعمل بها في النظام الإنجليزي والأمريكي علي وجه الخصوص. وهي تتراوح عموماً ما بين ربع المتر وثلثه. (المُعد).

(3) بوصه: البوصة وحدة قياس للطول، في نظام الوحدات الإنجليزيّة والأمريكية. والبوصة تساوي 2.54سنتيمتر. (المُعد).

وقد اضطررت فى بعض الأوقات إلى التوقف عن العمل حينما غطى الثلج أرض المحجر، وقد استأنفت عملها حينما توقف هبوط الثلج، وأصبح الجوّ جافاً.

وفى ظلِّ هذه الظروف القاسية والروح المعنوية المنخفضة؛ فقد كان لـ «بوكسر» ومعه « كلوفر » أكبر الأثر فى رفع الروح المعنوية بضرب المثل الطيب للآخرين فى العمل والتضحية؛ كما كان « سكويلر » يلقى على الحيوانات الخطب الرنانة عن وجوب التضحية فى سبيل الواجب، إلَّا أنَّ هذه الخطب الكثيرة لم تكن فى قوَّة تأثير «بوكسر » حينما كان يعمل بنفسه، ويضرب أحسن المثل في التضحية مُردِّداً شعاره المختار :(سأعمل أكثر).

وفى يناير(كانون الثاني) عانت المزرعة من نقص الغذاء؛ ولذلك فقد خفضت وجبات الحنطة، واستعيض عنها بزيادة مقررات البطاطس، إلَّا أنَّ الحيوانات اكتشفت أنَّ الجزء الأكبر من محصول البطاطس قد أصابه الصقيع بالتلف فى مخزنه لتركه بدون الغطاء اللَّازم من القش ! وقد تميعت البطاطس وفقدت لونها وأصبح القليل منها صالح للأكل؛ وبذلك فلم يكن أمام الحيوانات الجائعة إلَّا التبن والبنجر تأكله لأيامٍ طويلةٍ حتي أصبح شبح المجاعة يتهدَّدها !

وحتى لا يشمت أعداؤها فى الخارج ويشيعوا عنها شتى الأكاذيب بعد سقوط الطاحونة فقد عمدت الحيوانات إلى إخفاء حقيقة أمرها بشتى وسائل التعمية والتعتيم !

وكان النَّاس فى ذلك الوقت يرددون أنَّ الحيوانات قد أشرفت على الموت جوعاً، ودبّ فيها المرض ، وعادت إلى سيرتها الأوَّلى من التوحُّش، وأكل بعضها بعضاً أحياءً وقتل الصِّغار منها ! وأدرك « نابليون » خطورة مثل هذه الشائعات، ولذلك فقد قرر اللجوء الي السَّيِّد « ويمبر » بقصد إثارة مشاعر مغايرة لديه.

لم تتح للحيوانات تقريباً أي فرصة للقاء بالسَّيِّد « ويمبر » عندما كان يزور

المزرعة كُلّ أسبوع، منذ الآن سيضع « نابليون » في طريق « ويمبر » بعض الحيوانات التى تتمتَّع بكامل صحَّتها وأغلبها من الغنم، حتى تلقى على مسامع الرَّجل مدى سعادتها وما تحظى به من عنايةٍ ومن وجباتٍ كافيةٍ. وبالإضافة الي ذلك فقد قرَّر «نابليون » بملء صناديق المئونة الفارغة الموجودة في المخزن بالرمل عن آخرها، وبعد ذلك تملأ بما تبقي من الحبوب والدقيق.

اختلق « نابليون » ذريعة مستساغة، وقام رفقة السَّيِّد « ويمبر » بزيارة المخزن وطلبوا منه إلقاء نظرة علي الصناديق، وقع « ويمبر » فريسة للخداع، فأشاع في كُلِّ مكان أنَّ (مزرعة الحيوان) لا نعاني المجاعة.

ورغم ذلك أصبح من الضروري جلب الحبوب من كُلِّ مكان، في هذه الفترة قلَّل « نابليون » من ظهوره علي الملأ فقد كان يقضي معظم وقته داخل البيت الذي تحرس أبوابه عدة كلاب متوحشة، وإذا خرج من عزلته فبمظهر تسوده مراسيم مهيبة، تحت حراسة مُشدَّدة ومُحاط بستة كلاب تزمجر.

وفي صباح أحد الأيام أعلن « سكويلر » أنْ علي الدجاج أن تقوم بتسليم بيضها الذي وضعته مؤخراً، فلقد تعهَّد « نابليون » من خلال السَّيِّد « ويمبر » بتوفير أربعمئة بيضة في الأسبوع، وفي المقابل سيزود الحيوانات بكميةٍ من الدقيق والحبوب تكفي حتي الصَّيف والرجوع الي حياة أقل شقاء.

عندما سمع الدجاج هذه الأوامر أطلقت صيحات غاضبة، وأكدَّت للجميع أنَّها تحتضن بيضها كي يفقس في الربيع القادم، وإن أخذه يُعتبر جريمة. للمرَّة الأوَّلي منذ طرد مستر « جونز» حدث نوع من التمرُّد، فقد أزمع الدجاج العصيان تقوده ثلاث دجاجات سوداء، وقد عقد العزم على عرقلة الأمر الصادر إليه من الزعيم، وكانت وسيلته فى ذلك هي ذلك الطيران إلى العوارض الخشبيَّة العالية حيث يبيض، فيسقط البيض مهشماً على الأرض !!

وكان رد فعل « نابليون » سريعاً وحاسماً؛ فقد أمر بوقف صرف المقرَّرات الغذائيَّة للدجاج؛ كما أمر بفرض عقوبات صارمة تصل إلى حدِّ الإعدام لأي حيوان يُضبط بتهمة مساعدة الدجاج تحت أيّة صورة من الصور!

وكانت الكلاب هي وسيلة « نابليون » في فرض الأوامر ومراقبة تنفيذها، واستمر عصيان الدجاج خمسة أيام، ثُمَّ استسلم في نهاية الأمر وعادت الدجاجات إلى أعشاشها بعد أن مات منها تسع تحت أشجار التفاح، وأذيع أن سبب وفاتها مرض من أمراض الدواجن.

ولم يعلم السَّيِّد « ويمبر » شيئاً عن هذا العصيان، فقد تمَّ تسليم البيض بالتمام فى الموعد المتفق عليه تنقله عربة بقالة من المزرعة أسبوعيًّا.

وفى هذه الأثناء كانت أخبار « سنوبول » منقطعة، وإن تردَّد أنَّه ما يزال مختبئاً فى إحدى المزرعتين المجاورتين. وكانت علاقة « نابليون » بالعالم الخارجي لا بأس بها، وكانت لديه بالمزرعة كمية كبيرة من خشب الزان[1] الذي قُطع منذ عشرة أعوام يتنافس فى شرائها جاراه مستر « بلكنجتون » ، ومستر « فردريك »، وقد نصحه مستر« ويمبر » بالبيع. وعندما أزمع « نابليون » بالبيع إلي أحد من جاريه اللدودين، خرجت الشائعات عن وجود « سنوبول» لديه, فتوقفت الصفقة.

وفجأة في بداية الربيع حدث أمر مزعج؛ فقد أشيع أنَّ « سنوبول » اعتاد أن يرتاد (مزرعة الحيوان) باللَّيل وقد ذعرت الحيوانات لهذا حتى أنَّها أصبحت لا تكاد تنعم بنومها، وأصبحت غزوات « سنوبول » الليلية شيئاً متكرراً ؛ فهو يسرق الغلال تارةً أو يسكب اللبن تارةً أخرى، وربما كسر البيض المُعد للبيع، أو قذف بالتقاوي

(1) الزان: جنسٌ من الأشجار يتبع الفصيلة الزانية التي تشتمل أيضاً على أنواع البلوط المختلفة. يُستعمل خشبه الصلب لصناعة الأثاث الفاخر. (المُعد).

الجاهزة للزراعة، أو نخر أشجار الفاكهة ! وكُلَّما حدثت حادثة في المزرعة فإنَّها تنسب « سنوبول » فإذا ما كُسر الزجاج، أو سدت مواسير المياه فإنَّها تنسب إليه. !!

ولمَّا ضاع مفتاح المخزن زعمت الحيوانات أنَّ « سنوبول » سرقه، ثم قذف به إلى أعماق البئر، واستمرت الحيوانات على زعمها حتي بعد أن وجدت المفتاح !! وقد أعلن البقر أنَّ « سنوبول » كان يداهمه ليلاً ثُمَّ يحلبه !! وحينما أثارت الفئران بعض المتاعب زعمت الحيوانات أنَّها تأتمر بأمرٍ من « سنوبول » !!

وجن جنون « نابليون » فأصدر أوامره بالقيام بتحقيقٍ كامل عن نشاطات «سنوبول »؛ كما خرج في جولةٍ تفتيشيةٍ لتفقد جميع منشآت المزرعة تحوطه كلابه، ثُمَّ تتبعه عن بُعد بقية الحيوانات على استحياءٍ !

وكان « نابليون » يتوقف بين الفينة والأخرى، ثُمَّ يشم الأرض بأنفه، ويأخذ نفساً عميقاً ثُمَّ يُردِّد في صوتٍ رهيبٍ:

ـ نعم ، نعم ! إنَّه « سنوبول »، إنَّني أكاد أبصره في كُلِّ مكان !

وفي كُلِّ مرَّة ينطق « نابليون » باسم « سنوبول » كانت كلابه تزمجر بوحشيةٍ، وهى تكشر عن أنيابها !

وكان هذا المنظر كافياً لإدخال الرُعب على قلوب جميع الحيوانات، وقد دخل فى روعها أنَّ شبح « سنوبول » يتهدَّدها بالويل والقصاص.

وعند حلول اللَّيل جمع « سكويلر » الحيوانات، وقد بدت على وجهه مظاهر التجهُّم والصرامة، وأعلن وهو ينتفض بعصبيةٍ نبأ خطيراً بأنَّ « سنوبول » قد باع نفسه لمستر « فردريك » صاحب مزرعة « بنشفيلد » وهما الآن يتآمران تمهيداً للهجوم على المزرعة واحتلالها، وأفضى « سكويلر » بأنَّ « سنوبول » هو الدليل الذي سيقود هذه الحملة,وقال:

ـ والخطير في الأمر أيها الرفاق أنَّني أصبحت أُدرك تماماً المشاعر الدنيئة التى

أصبحت تُحرِّك « سنوبول » وهى الخيانة، وليست كما كنت واهماً من قبل الطموح أو الحسد؛ فقد انكشف الستار عن خيانة « سنوبول » لأبناء جلدته، وأنَّه قد باع نفسه لمستر « جونز »، وأنَّه كان جاسوسه منذ البداية !!

.. ثُمَّ استطرد، قائلاً :

ـ إنَّ هذا التفسير يلقى الضوء على مجريات الحوادث السَّابقة.

.. ثُمَّ تساءل :

ـ ألم يحاول بدون جدوى أن يوقع الحيوانات في الهزيمة، بل الإبادة في معركة (زربية البقر) ؟

.. وبهتت الحيوانات، فإنَّ ما نسب لـ « سنوبول » من خيانةٍ قد فاق جريمته فى تدمير الطاحونة، وظلت فى حالة ذهول لدقائقٍ وهى لا تكاد تصدق؛ فإنها تتذكَّر أو ربما خُيل إليها أنَّها تتذكَّر كيف هجم « سنوبول » على خصومه فى موقعة (زريبة البقر)، وكيف كان يحارب ويقود المعركة ؟ وكيف أنَّه لم يتقاعس أو يتخاذل فى أية لحظة حتى بعد أن أصابته قذيفة مستر « جونز » ؟ فكيف يمكنها إذاً تصديق مثل هذه الأقوال عن خيانته، حتي « بوكسر » الذي لم يكن ليتشكَّك هو نفسه في البيانات التى تذاع، قد أدركته الحيرة، وأغلق عينيه جاهداً في صياغة ما يجول في فكره، ثُمَّ قال :

ـ إنَّني لا أستطيع تصديق مثل هذا؛ فقد أبلى « سنوبول » بلاءً حسناً في (معركة الزريبة) فاستحق وسام (بطل البهائم) من الدرجة الأوَّلي بعد المعركة !!

.. فرد « سكويلر » :

ـ « سنوبول » كان قد أحكم خديعته حتى اكتشفت بنفسي وثائق سرية تدينه، وتوضح دوره فى الخيانة.

.. فاعترض « بوكسر » بقوله :

ـ ولكن « سنوبول » قد جرح فى أثناء المعركة !

.. فقال له « سكويلر »، موضحاً:

ـ إنَّ هذه الجروح السطحية افتعلت افتعالاً تنفيذاً للتمثيلية التى كان قد رسمها مستر « جونز »، وإن لدىَّ الوثائق المكتوبة التى سجلها « سنوبول » على نفسه، وأنا علي أتمَّ استعداد لتقديمها لك إذا ما كنت قادراً على القراءة، وقد دوَّن فيها أنَّه كان يتعيَّن عليه طبقاً لخطة المؤامرة أن يعطى إشارة الانسحاب قبل الوقت المناسب، وقد كادت خطته تنجح لولا الزعيم البطل القائد الرفيق « نابليون ».

.. ثُمَّ قال « سكويلر » مستطرداً:

ـ ألَّا تتذكرون أيها الرفاق كيف أنَّ « سنوبول » تتبعه بعض الحيوانات ولي هارباً، فى اللَّحظة التى اقتحم فيها مستر « جونز » وعصابته فناء المزرعة ؟ تتذكرون أيها الرفاق كيف أنَّه فى اللَّحظة الحرجة التى ساد فيها الاضطراب ولاحت بوادر الهزيمة، قفز الرفيق البطل « نابليون » صارخاً بالموت للآدميين، وقد غرز أنيابه فى ساق « جونز »..

.. وظلّ « سكويلر » يحاورهم وهو يرتعش حماساً وينتفض حتي خيل للحيوانات أنَّ شريطاً حياً من الصور التى رسمها لها « سكويلر » يبدو أمامها واضحاً وفقاً لترتيب الحوادث فى إطارها الجديد، وقد عاد إلى ذاكرتها بالفعل منظر« سنوبول » وهو يستدير ليهرب فى اللَّحظة الحرجة فى أثناء المعركة !!

..وكان « بوكسر » مشتت الفكر، ولكنَّه في لحظةٍ، قال:

ـ إنَّني لا أعتقد أنَّ « سنوبول » كان خائناً منذ البداية، بل إنَّه ظل رفيقاً صالحاً حتي معركة (زريبة البهائم)، أمَّا عن خيانته بعد ذلك فهو أمر واضح !

.. وهنا قاطعه « سكويلر »، وهو يضغط على مخارج الألفاظ، وبصوتٍ منخفضٍ وإن كان قاطعاً:

ـ إنَّ الزعم الرفيق « نابليون » فى ترتيبه التاريخي للحوادث قد قرَّر خيانة «سنوبول » منذ البداية، وإنَّه كان عميلاً باع نفسه قبل الانقلاب.

.. فأذعن « بوكسر »، قائلاً:

ـ إذا ما كان الرقيق « نابليون » قرَّر هذا، فإنَّ: (نابليون دائماً على حق).

.. فصاح « سكويلر »، وهو يلقى على « بوكسر » نظرات تقدح بالشر من خلال عينيه الضيقتين:

ـ هذه هي الروح الثورية الحقة.

.. واستأنف قبل أن يغادر مكانه، وبصوتٍ فيه نبرات التحذير:

ـ إنَّني أحذركم أيها الرفاق من جواسيس « سنوبول » المنتشرين بيننا، إنْ عليكم أن تفتحوا عيونكم جيداً.

***

الفصل التاسع

نهاية الأحلام السَّعيدة !!

The end of happy dreams !!

بعد مرور أربعة أيام من حديث « سكويلر » مع الحيوانات، ومناقشته لـ «بوكسر » أمر «نابليون» أن تجتمع الحيوانات فى فناء المزرعة، ثُمَّ خرج عليهم من منزله مرتدياً أوسمته جميعها بعد أن انعم علي نفسه بعد أن نال وسام (بطل البهائم) من الدرجة الأولى، بوسامٍ آخر من الدرجة الثانية، تتبعه كلابه الضخَّمة التسعة وهى تنبح بطريقةٍ تبعث القشعريرة في القلوب، وقد أيقنت الحيوانات أنَّ الخطير من الأمور لابدّ أنَّه على وشك الحدوث !

وفى وقفةٍ عسكريَّةٍ انتصب « نابليون»، وهو يتفحَّص الوجوه، ثُمَّ صاح بصوتٍ مبحوحٍ، تقدَّمت بعده الكلاب وأمسكت بآذان أربعة من الخنازير وهى تصرخ من الألم والرُّعب، ثُمَّ جرَّتها وألقت بها تحت أقدامه، وكانت آذانها تنزف، وقد تذوقت الكلاب طعم دمائها، وأصيبت بحالةٍ شديدةٍ من الهياج، ولدهشة الجميع فقد هجمت ثلاثة كلاب في اتجاه « بوكسر »، وحينما اقترب منه الكلب الأوَّل دهمه « بوكسر » بساقه القويَّة وألصقه بالأرض فصرخ الكلب مسترحماً، وساق « بوكسر » تضغط عليه وهو ينظر إلى « نابليون » مستطلعاً كأنَّما يستأذنه في سحق الكلب تحت قدمه ! فأمره « نابليون » بإخلاء سبيله في الحال وهو يشتاط غيظاً، وما كاد يرفع عن الكلب

قدمه حتى انسحب وهو يئن من الألم وذيله بين رجليه، ثُمَّ هدأت موجة الصَّخب التى صاحبت هذا المشهد، واتجهت الأنظار إلى الخنازير الأربعة التى كانت ترتعد هلعاً، ومظاهر الإثم والندم ترتسم على وجوهها !

والتفت إليها « نابليون » يأمرها بالاعتراف، وكانت هذه الخنازير هي بعينها التى سبق أن اعترضت على قرار « نابليون » فى إنهاء اجتماعات يوم الأحد. وفى الحال توالت اعترافات هذه الخنازير بأنَّها كانت دائماً على اتصال مباشر بـ «سنوبول » منذ أن طُرد من المزرعة، وأنَّها ساعدته فى تحطيم الطاحونة، وأنَّها كانت تُخطِّط معه لتسليم المزرعة لمستر « فردريك »، كما أضافت هذه الخنازير أنَّ «سنوبول » سبق أن حدَّثها بأنَّه كان عميلاً سرياً لمستر « جونز » منذ أعوام ماضية وقبل الانقلاب.

وحينما انتهت الخنازير من اعترافاتها الصريحة انقضت عليها الكلاب في الحال ومزقت أعناقها، وصاح «نابليون » بصوته الرهيب:

ـ هل لدى الحيوانات أي اعترافات أخري؟

.. فتقدَّمت ثلاث دجاجات سوداء، وهى التى سبق لها أن تزعمت حركة العصيان عند تسليم البيض، وقرَّرت أن « سنوبول » قد زارها فى الأحلام وحرضها على عصيان أوامر الزعيم « نابليون » ! وفى الحال تمَّ فيها تنفيذ حكم الإعدام !

ثُمَّ تقدَّمت إوزة وأقرَّت بأنَّها سبق لها أن أخفت ست سنابل من القمح من محصول الموسم السَّابق وأكلتها ليلاً، وكذلك اعترفت نعجة على نفسها بأنَّها بالت فى مياه البركة التى يُشرب منها دفعها إلى ذلك تحريض « سنوبول » لها، وكذلك اعترفت نعجتان بأنَّهما نفذتا جريمة قتل فى كبشٍ عجوزٍ كان شديد الولاء لـ «نابليون» بأن طاردتاه وحاورتاه حول موقد نار فى فناء المزرعة وهو مريض بالسعال؛ فازداد مرضه سوءاً ومات !

وقد نفذت على الخونة جميعاً أحكام الإعدام في الحال !!

.. وتوالت الاعترافات، وتوالت أحكام الإعدام حتي تكومت جثث الضحايا تحت أقدام « نابليون »، وفاحت رائحة الدماء التى كانت الحيوانات قد نسيتها منذ نهاية عهد « جونز » ! وحينما انتهى الآمر زحفت الحيوانات بعيداً وهى يائسة ترتعد، لا تعلم أي الأمرين أشدّ هولاً ؟ أخيانة الحيوانات التى تآمرت هي و « سنوبول » ؟ أم منظر أحكام الإعدام الرهيبة ؟

نعم، كانت الحيوانات تُشاهد مجازر دموية فى عهد « جونز » البائد، ولكن هذه المذبحة التى شاهدتها اليوم كانت أشد هولاً على نفوسها؛ لأنَّ جلاديها الجُدد إنما هم من أبناء جلدتها؛ فمنذ رحيل « جونز » لم يفتك حيوان من المزرعة بأخر وإن كان فأراً !

عادت الخنازير والكلاب إلى منزلها، وزحفت الحيوانات إلى الربوة القريبة من الطاحونة، ودون أن تُفكِّر هجعت[1] جميعاً قريبة بعضها من بعض وكأنَّها تلتمس دفئاً افتقدته نفوسها !!

تجمَّعت الحيوانات: « كلوفر »، و« موريل »، و « بنيامين »، والبقر، والغنم، وقطيع الإوز، والدجاج على الربوة ما عدا القط الذي كان قد اختفى عندما استدعاها « نابليون » للاجتماع، ولقد ظلت الحيوانات كُلَّها واجمة لفترةٍ طويلةٍ من الوقت، وظلّ « بوكسر » واقفاً على الربوة وهو فى حالةٍ شديدةٍ من الاكتئاب، يهز ذيله يميناً ويساراً، وهو يحمحم[2]:

ـ أنا لا أفهم شيئاً ولا أستطيع أن أتصوَّر أن مثل هذه الأمور كانت لتحدث فى مزرعتنا ! وإنَّنا لا نلوم إلَّا أنفسنا على ما اقترفناه، ولستُ أرى لهذه الكارثة

(1) هجعت: نقول: هجَع فلانٌ، أي نام، نام باللَّيل. (المُعد).

(2) يحمحم: حمحم الفرسُ: صات صوتًا دون العالي، صهل صهيلًا خافتًا. (المُعد).

من كاشفٍ إلَّا بالعمل، لقد قرَّرت أن أستيقظ لأعمل قبل ساعات العمل المُقرَّرة بساعةٍ كاملةٍ !

ثُمَّ ركض هابطاً إلى المحجر يجمع الأحجار، ويصعد بها إلى حيث موقع البناء حتي أقبل اللَّيل. وظلت الحيوانات قابعة على الربوة وبينها « كلوفر » لا تتكلم، وهى جميعاً تنظر من فوق الربوة إلى الأفق الواسع الذي يترامي حتي المدينة، والمراعى الخضراء تلوح تحت أقدامها ومنظر كومات الدريس والشجيرات والبركة وحقول القمح الخضراء، وسطح منزل المزرعة الأحمر تلوح فى الأفق والدخان يتصاعد من مدخنته.

لقد كانت أمسية صافية من أمسيات الربع، وكانت الشمس الغاربة تلقى بأشعتها الذهبيَّة على البرسيم وأسوار المزرعة، ولقد كانت الحيوانات تحلم بأنَّ هذه المزرعة بكُلِّ ما تحتويه من جمالٍ ملك لها وكأنَّها لم تتبَّين بعد مدى جمالها وسحِرها إلَّا فى هذه اللَّحظات وللمرة الأولى !

ونظرت « كلوفر » من أعلى الربوة وعيناها مبللتان بالدموع، ولو استطاعت أن تُعبِّر عمَّا يجيش بخاطرها لأفصحت أنَّ الثورة التى عملت الحيوانات من أجلها قد ضلت عن غاياتها ! وأن المجازر التى مرَّت بها ما كانت لتخطر لها علي بال حينما كان يخطب « ماجور » العجوز بليلٍ يدعو فيه إلى التمرُّد راسماً للحيوانات صورة باسمة عن مستقبل مشرق لمجتمعٍ سعيدٍ وقد تحرَّرت فيه من عبوديتها وخوفها وجوعها، كُلَّها سواسية، لا تُكلف إلَّا العمل الذي تطيقه، يحمى القوّي منها الضعيف، تماماً كما كانت هي تحنو على البط الصَّغير اليتيم الذي كان يلتمس الدفء بين أرجلها على حين كان « ماجور » يلقى خطابه، ثُمَّ توالت الأيام وها هي ذي ثورتها المنتصرة والحيوانات لا تجرؤ فيها أن تُعبِّر عمَّا يدور بعقولها، والكلاب المفترسة تجول بينها، ثُمَّ مشاهد أجساد رفاقها الممزقة بعد اعتراف أي اعتراف، دار هذا الشريط برأس « كلوفر » على سبيل الذكرى، إنَّها لم تكن تفكر لحظة فى التمرُّد

أو العصيان، فبرغم كُلّ ما مرّ بالحيوانات من أحداثٍ فقد كانت تؤمن بأنَّ حالها ما زالت أفضل ممَّا كانت عليه فى عهد « جونز »، وأن عليها أن تعمل دائماً من أجل ألَّا تعود ثانيةً نهباً للإنسان !

وفى سبيل هذا الهدف فإنَّه ينبغي عليها الإخلاص والتفاني في العمل وتنفيذ ما يصدر إليها من أوامر، وقبول زعامة « نابليون » لقد انتهت أحلامها السَّعيدة التى من أجلها جاهدت وضحت وشيَّدت الطاحونة وواجهت رصاص « جونز »!

كُلّ هذا كان يدور بخلد « كلوفر » ولو أنَّها ظلت على صمتها إلى حين، ثُمَّ بدَّدت صمتها هذا بالغناء وكأنَّها تهرب به من واقعها المر وما فيه من الأسى البالغ العميق وحولها الحيوانات الأخرى وقد تبعتها في ترديد نشيد الثورة بنغمةٍ بطيئةٍ حزينةٍ جميلةٍ، وكأنَّها تنعى أيامها الهنيئة، كانت تؤدى نشيدها بإتقانٍ لم يتيسر لها من قبل، حتى إذا ما فرغت من إنشاده أعادته من جديد، وعند نهاية أدائه للمرَّة الثالثة، اقتحم عليها « سكويلر » خلوتها يتبعه كلبان وهو على وشك أن يفضى إليها بحديثٍ مهم، وقد أعلن أنَّ الرفيق « نابليون » قد أصدر مرسوماً خاصًّا بمنع ترديد نشيد (يا وحوش إنجلترا)، وأنَّه منذ هذه اللَّحظة قد أصبح التغني به من المحظورات !!

وقد ذهلت الحيوانات، وتساءلت « موريل » عن أسباب المنع، فأجابها «سكويلر »:

ـ إنَّ النشيد لم يعد مجارياً للعصر؛ فإنَّ نشيد (يا وحوش إنجلترا) كان نشيد الثوار حينما لم تكن هنالك ثورة، والآن فقد تمَّت الثورة وانتهت إلى غاياتها، وكان في إعدام الخونة بعد ظهر اليوم نهاية الشوط، وتحقَّق للثورة النصر على أعدائها فى الداخل والخارج، النشيد كان عبارة عن التطلُّع إلى المستقبل الزاهر السَّعيد !

.. ثُمَّ أعلن « سكويلر »:

ـ إنَّ المستقبل الزاهر قد تحقَّق بالفعل، فأصبح النشيد بذلك غير ذي موضوع.

وبرغم ما كانت عليه الحيوانات من ذهولٍ ورعبٍ، فقد كان من المحتمل أن يعترض بعضها على مثل هذا القرار لو لم تبدأ الغنم فى ثغائها مُردِّدة شعارها المعهود: (ذوات الأربع أخيار ! وذوو الرجلين أشرار !) لدقائقٍ معدوداتٍ، انسحب في أثنائها « سكويلر » من حيث أتي.

.. وبعد هذا اليوم لم يُسمع النشيد مرَّة أخرى، وقد ألَّف الشاعر « مينيمس » نشيداً آخر، هو:

مـــزرعـــــة الـــحـــيوان الكبرى مـــــزرعـــة الـــحـــيوان الكبرى

دمـــــتِ لـــنـــا دهـــــراً دهـــــراً وبـقـيـت لـنـا ذخـــــراً ذخـــراً

وكان هذا النشيد يُغنى صباح كُلّ يوم أحد بعد رفع العلم، وإن كان في نظر الحيوانات لا يضاهي نشيد (يا وحوش إنجلترا) من حيث النغم أو الكلمات !

***

الفصل العاشر

الصفقة !!

Deal !!

بعد أيام قلائل من المذبحة وحينما خفت حِدة الرُعب من نفوس الحيوانات تذكَّر بعضها أو خُيَّل إليها أنَّها تتذكَّر أنَّ الوصية السَّادسة من الوصايا السبع القديمة جاءت بنصٍ ينهى الحيوان ألَّا يقتل حيواناً آخر إلَّا أن أحداً منها لم يكن ليجرؤ على ترديد هذا الحديث على مسمع الخنازير أو الكلاب برغم اعتقادها أنَّ المذبحة قد خالفت النصوص الموضوعة والتي تعاهدت الحيوانات على احترامها !!

وقد طلبت « كلوفر » من « بنيامين » أن يقرأ لها نصّ الوصية السَّادسة، فاعتذر كعهده دائماً بأنَّه لا يحبّ أن يورط نفسه فيما لا يعينه ! وبحثت عن « موريل » التي استجابت وقرأت عليها بصعوبةٍ الوصية المطلوبة، وكانت كما يأتي: « علي الحيوان ألَّا يقتل حيواناً آخر.. بدون سبب »، ولسببٍ أو لآخر كانت الكلمتان الأخيرتان غائبتين عن ذاكرة الحيوانات، ولكنَّها الآن، أيقنت أن نصوص الوصية لا تتعارض والأحداث التي جرت؛ فقد كان من الواضح أن تنفيذ أحكام الإعدام في الحيوانات التي خانت هي و« سنوبول » كان له ما يبرره.

وفى ذلك العام عملت الحيوانات بدرجةٍ أكبر ممَّا عملت في العام السَّابق، فقد كان يتعيَّن عليها الانتهاء من تشيد الطاحونة في موعدها المُحدَّد بحوائطها التي

يزيد سمك حيطانها عن سابقتها التي تهدَّمت، ودون أن يخل ذلك بأعمال المزرعة الأخرى على ما في ذلك من جهدٍ شديدٍ.

ففي بعض الأحيان كان يُخيَّل للحيوانات أن عدد ساعات عملها قد صارت أطول ممَّا كانت في عهد السَّيِّد « جونز »، وأن وجباتها التي تُقدَّم لها لا تزيد عمَّا كانت تأكله قديماً.

وفى صباح أيام الآحاد كان « سكويلر » يقرأ عليها بيانات إحصائية مدونة على أشرطة ورقية يمسكها بين أظلافه يستنتج منها أنَّ الإنتاج قد زاد بواقع 200 % أو 300 % في هذا القطاع أو ذاك، أو 500% على حسب الأحوال.

ولم يكن لدى للحيوانات أسباب تحملها على الشك في تلك البيانات المُعلنة، بعد أن طال بها العهد في ظلِّ الثورة حتى أصبحت غير قادرة على تذكُّر شيء قبلها، وإن خُيّل إليها أنَّها قد مرَّت بأيامٍ كانت يتوافر لها فيها غذاء أفضل لولا ما يتلى عليها من إحصائياتٍ، ولقد كانت جميع الأوامر تصدر إليها عن طريق « سكويلر »، أو خنزير آخر، أمَّا « نابليون » فلم يكن ليظهر بينهما إلَّا كُلّ أسبوعين، فإذا ما خرج إليها تبعته مجموعة من الكلاب، وقد زاد على هذا الموكب ديك أسود اللَّون في المقدمة وهو يؤذن بلحنٍ يشبه حامل النفير ! فإذا ما أزمع « نابليون » الخطابة أذن الديك إشارة لبدء الحديث المرتقب !

وقد أشيع أيضاً أنَّ « نابليون » قد اتخذ له مسكناً مستقلاً داخل منزل المزرعة، وأنَّه أصبح لا يجالس أحداً في أثناء غذائه وأنَّ كلبين يقفان على خدمته في أثناء الأكل، كما أنَّه يستخدم أطقم مستر «جونز» الفخمة التي كان يستعملها في المناسبات وقد أخرجها من الصوان الذي بحجرة الجلوس !

وقد أعلن بعد ذلك وجوب الاحتفال بذكرى مولده بإطلاق رصاصة من البندقية، تماماً كما تحتفل المزرعة بالعيدين الآخرين: (ذكرى الثورة)، وذكري (معركة زريبة البقر).

وأصبح من المفروض على الحيوانات ألَّا توجه الحديث إلى « نابليون » إلَّا بعد ذكر ألقابه كاملة، مثل: الزعيم.. الرفيق، كما أنَّ الخنازير كانت تضيف إلى ذلك ألقاب أخري، مثل: (أبي الحيوانات.. هازم الإنسانيَّة.. حامي الغنم.. صديق البط) !!

وكان « سكويلر » حينما يخطب تنهمر دموعه إذا ما ذكر اسم « نابليون »، أو حكمه الغالية، وقلبه الرءوف، وصدره الذي يتسع لجميع حيوانات الأرض، وخصوصاً تلك الحيوانات تعسة الطالع التي تعيش في ظلِّ عبودية الآدميين !

واعتادت الحيوانات إرجاع كُلّ أسباب النجاح والحظ السَّعيد إلى « نابليون»: فكانت الدجاجة إذا ما وجهت حديثها إلى دجاجةٍ أخرى ابتدرتها قاتلةً: (في ظلِّ إرشادات زعيمنا الرفيق « نابليون » فقد بضت خمس بيضات في ستة أيام) !!

وربما قالت البقرة لأختها وهي تشرب من مياه البركة: (حمداً لزعيمنا الرفيق «نابليون » ما ألذ وأصفى هذا الماء) !

وقد استلهم الشاعر الخنزير « مينيمس » وحيه من واقع هذه الحال فى هذه القصيدة:

يا أبا الأيتام يا نبع الســـــرور
مُطعم الجوعان أقداح الشــعير
هادئ كالصخر عات كالسَّــعير[1]
إيـــه نابليــون يا بــدر البــدور

***

يا ملاذ الوحش من ظلم الزمن

(1) السَّعير: النَّار الشديدة الملتهبة. (المُعد).

تـــــهـــب القـــش طريـــاً للوســـــن[1]
كُـّل خـــنـــزيـــــــــر لديـــك مطمئـــــن
عـــــشت نـــابـــلـيـون ذخـــــــراً للوطـــن

***

كُلَّمـــا طـــار فـــــراش كُلَّمـا غنت طيـــــور
عندما يولد عند الفجر خنـــزيـــــر غريـــــر[2]
صحية المولـود كانت وهو في المهد صغير
أنت نابليـــون مجـــد وذكـــــاء وحبـــــور[3]

وقد أعلن « نابليون » رضاءه عن هذه الأبيات الشِعرية وأمر بتعليقها على حائط الحظيرة الكبرى في مواجهة الوصايا السبع، وقد زيَّن « سكويلر »الجدار بصورةٍ مكبرةٍ للزعيم قام بتنفيذها باللَّون الأبيض.

وفى هذه الأثناء كان « نابليون » منشغلاً بمباحثات حساسة يجريها مع جارية: « فردريك »، و «بلكنجتون » بمعاونة مستر « ويمبر » بخصوص صفقة الأخشاب التي لم تكن قد بيعت بعد, وكان الجاران اللدودان يتنافسان فى شرائها وإن كانت الأنباء ما زالت تتوالى عن أن « فردريك » ما زال على غيه [4] القديم يحوك[5] هو

(1) الوسن: سِنَة، أو نُعاس، أوّل النَّوم أو ثِقَلُه. (المُعد).

(2) غرير: تأت بمعانٍ كثيرةٍ، منها: الغَرِيرُ أي الشَّاب لا تجرِبةَ له، والغَرِيرُ بمعني: الخَلْقُ الحَسَن، وكذلك الغَرِيرُ: العيشُ الناعم. (المُعد).

(3) حبور: حَبْر، عالِم. (المُعد).

(4) غيه: غَيَّا فلانًا: جعل له غايةً، غَيَّا الشيءَ: جعل له نهاية. (المُعد).

(5) يحوك: حاك مؤامرةً ونحوَها: دبّرها وخطّط لها،ونقول: كانت الدسائسُ تُحاك حوله. (المُعد).

ورجاله المؤامرات لمحاولة إعادة تحطيم الطاحونة التي كانت تثير في قلوب البشر أشد الغيرة؛ كما كان يُشاع أنَّ « سنوبول » ما زال قابعاً في مزرعة « بنشفيلد ».

بل إن ثلاث دجاجات من المزرعة قد اعترفت ذات يوم أنَّها قد تورطت في مؤامرةٍ حاكها « سنوبول» لقتل « نابليون »، وقد أُعدمت في الحال، واتخذت تدابير أمن مُشدَّدة لحماية الزعيم.

وكانت تتولى حراسة سريره أربعة كلاب كُلّ منها في ركنٍ، وعُيَّن خنزير شاب اسمه « بنكارى »؛ ليتذوق كُلّ أطعمة « نابليون » قبل تقديمها إليه خوفاً من محاولة دس السُّم !

وفى ذلك اليوم أشيع أنَّ « نابليون » كان على وشك بيع الأخشاب إلى مستر « بلكنجتون » والدخول معه في اتفاقية لتبادُل السلع بين « مزرعة الحيوان »، ومزرعة « فوكس وود » بمعاونة مستر «ويمبر »، كما أصبحت العلاقات بين طرفي العقد تتسم في الواقع بالود والمجاملة ! وبرغم أنَّ الحيوانات كانت لا تثق بأحدٍ من البشر فإنَّها كانت تفضل مع ذلك مستر « بلكنجتون » على مستر «فردريك » الذي كانت تخشاه وتمقته في الوقت نفسه !

وحينما آذن الصَّيف بالانتهاء وكاد بناء الطاحونة يكتمل.. سرت أنباء عن هجوم وشيك يزمع «فردريك » القيام به، وقد أشيع أنَّه قد جيَّش في سبيل ذلك عشرين رجلاً مدجَّجين بالبنادق، وأنَّه قد قدَّم رشوة لشرطة المنطقة حتى لا تتحرَّك إذا ما سقطت « مزرعة الحيوان » في يده، كما تسربت أنباء عن مدى قسوة « فردريك » في معاملة حيواناته فى مزرعته الخاصَّة « بنشفيلد »، فقد جلد حصانه الهِرم[1] حتى الموت، كما أنَّه ترك بقرة تموت جوعاً، وأحرق كلبه في الفرن، وكانت تسليته المفضلة في المساء معارك يديرها بين ديوكه، وقد ركبت في أظفارها قطع من أمواس الحلاقة !!

(1) الهِرم: هرِم فلانٌ: بلغ منتهى الكِبَر، وكِبر وضعُف، نقول مثالًا لذلك: خُذْ مِنْ شَبَابِكَ لِهَرَمِكَ. (المُعد).

وكان الدَّم يغلى في عروق الحيوانات حينما تتوالى عليها أنباء هذه القسوة التي يتعرَّض لها رفاقها، حتى إنَّها فكَّرت في الاستئذان في الهجوم على مزرعة « بنشفيلد»، وتخليص ما بها من حيواناتٍ مسكينةٍ من براثن مستر « فردريك »، إلَّا أن « سكويلر » نصحها بالتريث وترك مثل هذه الأمور لحكمة الرفيق « نابليون » ودهائه !

وارتفعت موجة الكُره ضد « فردريك »، وفى صباح يوم أحد جاء «نابليون » إلى حظيرة الاجتماعات، وأعلن على الحيوانات أَّنه لم يُفكِّر في يومٍ من الأيام في بيع صفقة الخشب إلى « فردريك »، وأنَّه شخصيًّا يعتبر أن التعامُل مع أمثال مستر « فردريك » لا يتفق مع كرامته !

وفي يومٍ من الأيَّام صدر الآمر للحمام بعدم التحليق فوق مزرعة « فوكس وود»، وعدم التعرُّض لها والاقتصار على الدعوة إلى الثورة في مزرعة « بنشفيلد »، كما صدرت إليه التعليمات بتعديل الشعار القديم (الموت للإنسانيَّة) إلي: (الموت لفردريك) !

وفي أخريات الصَّيف اكتشفت مؤامرة جديدة دبرها « سنوبول » الذي تبيَّن أَنَّه داهم المزرعة في الليل وخلط تقاوي القمح ببذور البرسيم، وقد اعترف بهذا ذكر من الإوز كان قد شاركه في المؤامرة، ثُمَّ انتحر في الحال ببلع حبات من نباتٍ سام !

وقد تبيَّن الآن للحيوانات كافة أنَّ « سنوبول » لم يحصل إطلاقاً على وسام (بطل البهائم) من الدرجة الأولي، عن دوره في (معركة زريبة البهائم)، كما كان يُشاع في الماضي. وقد اتضح لها أن « سنوبول» نفسه هو مصدر هذه الشائعات المغرضة، وأن حقيقة الآمر هو أن « سنوبول » كان قد عُزل بعد هذه المعركة لما أبداه فيها من جبنٍ.

ومرَّة أخرى فقد ساور بعض الحيوانات الشك فيما أذيع عليها أخيراً من

معلوماتٍ، إلَّا أن «سكويلر» استطاع أن يضع الأمور في نصابها وأن يُبيّن لها مدى ضعف ذاكرتها !!

وفى الخريف كانت الحيوانات قد بذلت مجهوداً ضخماً في حصاد المحصول في موعده تقريباً، وكذلك فقد تمكَّنت في الوقت نفسه من الانتهاء من بناء الطاحونة في الوقت المُحدَّد، وأصبح لزاماً عليها أن تحصل على الأدوات اللَّازمة لتشغيلها عن طريق مستر « ويمبر » !

نعم.. لقد انتهت من بناء الطاحونة فى موعدها المُحدَّد باليوم والسَّاعة برغم جميع المصاعب، وعدم خبرتها بالبناء، ونقص المعدات اللَّازمة، وسوء الطالع، وخيانة « سنوبول ».. وأنها إذ تشعر بالتَّعب فإنَّها مع ذلك كانت فخورة بالطاحونة.. تطوف حول تحفتها الفنيَّة التي بدت لها أجمل ما كانت عليه في المرَّة الأُوَّلى، وقد أصبحت حوائطها أكثر غلظاً من سابقتها بحيث لا يمكن هدمها إلَّا باستعمال المفرقعات.

لقد كان يطوف بذهنها ما لاقته في سبيل بنائها من جهدٍ بالغٍ، ومصاعب جمَّةٍ، وقد تغلَّبت عليها بإيمانها، وآن لها الآن أن تهنأ بمستقبلٍ سعيد باسم بعد أن تمَّ لها ما أرادت، وما هي إلَّا فترة قصيرة حتى يتمّ تركيب المراوح لتشغيل المولد الكهربي. كانت هذه الأماني العذبة تدور بخلدها[1]، فتنسى ما مرّ بها من تعبٍ، وتهرول حول الطاحونة وهى تصيح بصيحات النصر.

وأقبل « نابليون » بشخصه تتبعه كلابه، ويتقدَّمه ديكه الأسود لتفقُّد الطاحونة وقد هنأ بنفسه الحيوانات على إنجازها الضخم، وأعلن أنَّه منذ الآن فإن الطاحونة ستحمل اسمه لتصبح: (طاحونة نابليون).

---

(1) بخلدها: الخَلَدُ: البالُ والنَّفْس، ومنه لم يَدُر في خلَدِي كَذا، والجمع : أَخلاد، نقول: خَطَرَتْ فِي خَلَدِهِ أَفْكَارٌ. (المُعد).

بعد يومين من الانتهاء من تشييد الطاحونة دعيت جميع الحيوانات للقاء خاصّ في الحظيرة، وبين ذهولها الشديد أعلن « نابليون » عليها نبأ بيع صفقة الخشب لـ « فردريك »، وأن عربات « فردريك » ستحضر في صباح اليَّوم التالي لتحويل الأخشاب، كما أعلن أنَّه طوال فترة صداقته بمستر «بلكنجتون » كان على وفاق سرى كامل مع مستر « فردريك »، وأنَّه منذ الآن قد قطع علاقاته بمزرعة « فوكس وود»، وأن حملاته الإعلامية قد تمَّ توجيهها ضد « بلكنجتون »، وأن شعار الحمام المُعدَّل (الموت لفردريك)، قد عُدل من جديد ليصبح (الموت بلكنجتون) !

كما أصدر « نابليون » تعليماته بتجنُّب الإساءة إلى مزرعة « بنشفيلد »، وكذلك أنبأها «نابليون» أن أخبار المعارك المزعومة التي يديرها « فردريك » لا أساس لها من الصحَّة، وأن أخبار قسوته على حيواناته مُبالغ فيها للغاية، وأن مثل هذه الشائعات قد أطلقها « سنوبول » وعملاؤه، وأنَّه لا صحَّة لما تردَّد من وجود « سنوبول » بمزرعة « بنشفيلد »، بل إنَّه يرتاب في أسباب الأبهة والترف بمزرعة «فوكس وود».

وكانت الحيوانات في حالة انتشاء وهى تسمع « سكويلر » يلقى عليها أخبار دهاء « نابليون » وخديعته لـ « بلكنجتون »، فقد استطاع بإظهار الصداقة له أن يجبر مستر « فردريك » على رفع سعر الخشب اثني عشر جنيهاً، واستطرد «سكويلر » أن مدى حكمة الزعيم تتضح من خلال حذره الشديد من الآخرين بما في ذلك « فردريك » نفسه، فإن « فردريك » أراد أن يسدد ثمن الخشب بما يُسمى (الشيك)، وهو عبارة عن قطعة من الورق دُوِّن عليها أمراً بالسداد، ولكن « نابليون» نافسه في لعبة الدهاء حينما اشترط أن يكون الدفع بورق حقيقي من (البنكنوت) من فئة الخمس جنيهات تدفع قبل تسلُّم الخشب، وقد أذعن « فردريك » للشروط وقام بالدفع. وقرَّر « سكويلر » أن ما تجمَّع لديهم من عملاتٍ أصبح كافياً لشراء جمع المعدات اللَّازمة للطاحونة.

وفى هذه الأثناء تمَّ تسليم الخشب الذي نقل على عجلٍ، ثُمَّ عقد « نابليون » اجتماعاً خاصًّا بقاعة الحظيرة لكي يطلع الحيوانات على ورق (البنكنوت)، وبدا «نابليون » وهو يعتلى سريراً من القش، ويرتدى وساميه، ويفتر[1] ثغره عن ابتسامةٍ عريضةٍ، كما بدت بجانبه كومة من النقود الورقية في طبق صيني !

وزحفت الحيوانات في بطءٍ وهى تحملق[2] بكُلِّ نظراتها ، بل إن « بوكسر » زاد على ذلك بأن وضع أنفه في الصحن وهو يشم النقود عميقاً حتى تناثرت من أنفه بعطر الرغاوى البيضاء !

***

(1) يفتر: افتَرَّ فلانٌ: ابتسم وبدت ثناياه، ونقول: افترّ عن أسنانه ضاحكاً، أي ابتسم. (المُعد).

(2) حملق: نقول: حمْلَقَ الرَّجُلُ أي فَتَحَ عَيْنَيْهِ، وحَمْلَقَ إِلَيْهِ: نَظَرَ إِلَيْه نَظَراً شَدِيداً. (المُعد).

الفصل
الحادي عشر

معركة الطاحونة !!

Windmill battle !!

وبعد ثلاثة أيام من مشهد الاحتفال بالصفقة، حضر مستر « ويمبر » على دراجته وهو ممتقع[1] الوجه، واقتحم بسرعة منزل المزرعة، وقد أحدث وجوده بهذه الصورة هرجاً ومرجاً شديدين في أنحاء المزرعة، وسمع بعد ذلك صوت « نابليون» مدوياً. وانتشر خبر الزيارة مثل النَّار في الهشيم، فقد تبيَّن أنَّ أوراق (البنكنوت) التي قدَّمها مستر « فردريك » مزورة، وأنَّه بذلك يكون قد اشترى الخشب بدون مقابل !!

وفى الحال استدعى « نابليون » جمع الحيوانات، وفى صوتٍ رهيبٍ أصدر حكماً بالإعدام على «فردريك »، فإذا ما تمَّ القبض عليه فإن الحكم سوف يتم بسلقه في الماء المغلي حيًّا !

كما أنذر حيواناته أنَّه يتوقَّع المبادرة بالعدوان فى أية لحظة من جانب «فردريك» بعد أن انكشف غشه وخداعه، وأنَّ « فردريك » ورجاله قد يقومون بهجومهم المنتظر في أي وقت، ولذلك فإن «نابليون » قد أمر بإقامة حراسة كاملة على جميع

(1) مُمْتقِعُ الوَجْهِ: مُتَغَيِّرٌ لَوْنُهُ مِنْ حُزْنٍ أو فَزَعٍ أو مَرَضٍ. (المُعد).

مداخل المزرعة، كما أنَّه قد بعث بأربع حمامات إلى ««فوكس وود»» وهى تحمل منه رسائل ودية لإعادة ما انقطع من علاقاتٍ بينه وبين « بلكنجتون » !!

وفى صبيحة اليَّوم التالي لاحت بوادر المعركة حينما هرعت طلائع الحيوانات المكلفة بالحراسة إلى مباني المزرعة، على حين كانت الحيوانات تتناول وجبة الإفطار، وقد أنذرت هذه الطلائع بأنَّ «فردريك » ورجاله قد اقتحموا بالفعل بوابة المزرعة ذات العوارض الخمس، وتحرَّكت الحيوانات بشجاعةٍ لمقابلة الزحف، ولكنَّها في هذه المرَّة لم تحظ بالنصر السَّريع الذي سبق لها أن أحرزته في معركتها السَّابقة (زريبة البقر).

فقد كان المهاجمون خمسة عشر رجلاً، منهم ستة مسلحون بالبنادق وقد بادروا الحيوانات بسيل من الرصاص وهم على بُعد خمسين ياردة منها، ولم تستطع الحيوانات مقابلة الرصاص المنهمر برغم ما بذله « نابليون »، و « بوكسر » من جهدٍ في تجميع صفوفها، وانسحبت إلي الخلف وقد أصيب عدد منها بجروحٍ، ثُمَّ تحصنت بمباني المزرعة، وأطلت بحذرٍ من خلال النوافذ الضيقة وثقوب الأبواب، وقد وقعت مراعى المزرعة والطاحونة في أيدي أعدائها !

وخيل للجميع بما فى ذلك «نابليون » أنَّ المعركة قد انتهت بالفعل وقد تمت هزيمتها، وكان «نابليون» يغدو ويروح بصبرٍ نافد وذيله المتقلص يتحرَّك في عصبيةٍ، ومن حينٍ لآخر فإنَّه كان يتطلع إلى الناحية التي بها مزرعة « فوكس وود » وعيناه تنظران في ضراعةٍ، فلو أن مدّداً جاءه منها فربما يستطيع أن يقلب الوضع لمصلحته، وفى هذه الأثناء عادت الحمامات الأربع وهى تحمل لـ «نابليون » رسالة رداً على خطابه إلى « بلكنجتون » وقد ضمنها العبارة الآتية: « لقد نلت جزاءك ! ».

وتابع « نابليون » تحرُّكات الأعداء فإذا بهم يتوقفون حول الطاحونة، ونظرت

الحيوانات واجفة إلى رجلين من بينهم يحاولان تدمير الطاحونة وقد حملا في أيديهما عتلة ومطرقة.

وطمأن « نابليون » الحيوانات بألّا تخشى شيئاً، وأن بناء الطاحونة أقوى من أن يحطمه رجلان قبل أسبوع كامل، وطلب إليها أن تحتفظ بر باطة جأشها.

وكان « بنيامين » يتابع تحرُّكات الرَّجلين باهتمامٍ بالغٍ وهما يحفران حفرة تحت الطاحونة يستعملان فيها المطرقة والعتلة، وبتؤدةٍ[1] هز « بنيامين » رأسه وكأنَّه قد أدرك ما يحاولان أن يفعلاه، وقد بدت على وجهه علامات الرِّضا عن النفس، وقال:

ـ إنَّني كنت أتوقَّع منهما ذلك، إنهما يحفران حفرة تحت الطاحونة وسيملأنها بموادٍ ناسفةٍ !

ولم تكن الحيوانات لتجرؤ على الخروج من مكامنها بالمباني وقد قبعت تراقب مجريات الأحداث وهي واجفة، وبعد دقائق معدودات شاهدت الرِّجال تجرى بعيداً عن الطاحونة في كُلِّ اتجاه، ثُمَّ سمعت صوت انفجار مدو طار عند سماعه الحمام مذعوراً، وألقت الحيوانات بنفسها على بطونها وقد أخفت فى الأرض وجوهها ما عدا « نابليون ».

وحينما عادت الحيوانات لمراقبة مجريات الأمور شاهدت دخاناً أسود يتصاعد إلى السَّماء، ولمَّا انقشعت تلك السحابة السوداء كانت الطاحونة قد اختفت عن الأنظار وقد تناثر على الأرض حطامها !

وعند هذا المنظر الرهيب نسيت الحيوانات يأسا وخوفها، ودبت في صدورها نار الغضب والثورة، وانطلقت صيحة مدوية تدعو للانتقام، انطلقت في إثرها الحيوانات صفاً واحدة متماسكاً دون انتظار للأوامر وأطبقت على أعدائها غير عابئة برصاصهم المنهمر !

---

(1) بتؤدةٍ: رزانة وتَأَنٍّ وتمهُّل، نقول: تكلّم بكلِّ تُؤَدَةٍ ورويَّة. (المُعد).

ثُمَّ تلاحمت في معركةٍ رهيبةٍ، وانطلق الرِجال يضربونها بعصيهم وأحذيتهم الثقيلة وقد قتلت في المعمعة بقرة وثلاث نعاج وإوزتان، كما أُصيب كُلّ المتحاربين بجروحٍ وإصاباتٍ مختلفة: فـ « نابليون » الذي كان يقود العمليات الحربية عن كثبٍ أُصيب طرف ذيله برش الرصاص فبتر، وكذلك أُصيب الرِجال جميعاً، فقد أصاب « بوكسر » بضربات حافره الحديدي جماجم ثلاثة منهم، كما أحدثت بقرة بقرونها جرحاً غائراً ببطن أحدهم ومزقت « جيسي »، و« بلويل » سراويلهم .

وكان « نابليون » قد سبق أن أصدر أمراً إلى كلابه التسعة بمراقبة سور المزرعة، وقد عادت الكلاب فجأةً وهى لا تكاد ترى من السور وقد علا نباحها إلى جانب الرِجال المهاجمين.

وقد كان لظهورهم المباغت أثره على الرِجال الذين خافوا أن تطوقهم الحيوانات، وأمرهم « فردريك» في الحال بالانسحاب فى الوقت المناسب، وهرع الرِجال الجبناء إلى خارج المزرعة ينشدون السَّلامة ! وانطلقت الحيوانات في إثرهم تركلهم حتى اضطر الرِجال إلى الهروب عبر أسوار المزرعة الشوكية إبقاءً على حياتهم !

لقد تمَّ للحيوانات النصر، ولكنَّها كانت مرهقة تنزف، وفى بطءٍ عادت ثانياً إلى مباني المزرعة وهى تعرج وقد حركت مشاعرها مناظر رفيقاتها وهى صرعى فوق الحشيش، وانطلقت بعضها تبكى ! ثُمَّ توقفت قليلاً أمام أطلال الطاحونة والأسى يغمر نفوسها؛ فقد كانت رمزا حيًّا لإرادتها وها هي ذي قد تهدَّمت من أساسها؛ بل إن أحجارها كانت قد تناثرت بعيداً بفعل الانفجار، كما أصبح من العسير إعادة استخدامها في البناء من جديد ! لقد أصبحت الطاحونة أثراً بعد أن كان يملأ العين والبصر !!

وحينما اقتربت الحيوانات من مباني المزرعة خرج عليها « سكويلر » وهو يهز ذيله ووجهه يطفح بالبشر، لقد كان قابعاً في مكانه حينما كانت تحارب، وها هو ذا

يُعد لها استقبالاً يليق بالمنتصرين، وسمعت رصاصة تدوي وتساءل معها « بوكسر » عن سبب إطلاق الرصاصة، فصاح « سكويلر »:

ـ احتفالاً بالنصر.

.. وتساءل« بوكسر » ثانياً:

ـ أي نصر؟!

وكانت ركبه تنزف دماً وقد فقد حدوة حديدية، كما أصيب أحد حوافره بكسرٍ، واستقر رش البنادق في فخذيه الخلفيتين، وعندئذ صاح « سكويلر » بـ« بوكسر »:

ـ تتساءل عن النصر! ألم نطرد نحن أعداءنا من أرضنا, أرض الحيوانات المقدَّسة؟

.. فقال « بوكسر »:

ـ ولكنَّهم حطموا الطاحونة التي اجتهدنا في بنائها عامين !

.. وهنا صاح « سكويلر »:

ـ سنبنى إذا ما شئنا ست طواحين ! ألَّا تتصورون أيها الرفاق مدى الإنجاز الضخم الذي حققناه ؟ ألم يكن أعداؤنا قد احتلوا أرضنا التي نقف عليها الآن ثُمَّ استعدناها نحن قطعة قطعة بفضل زعامة الرفيق « نابليون » الرشيدة..

..وهنا قاطعة « بوكسر» متسائلاً من جديد:

ـ أي نصر ؟ كُلّ ما في الأمر أنَّنا قد استعدنا ثانياً ما كان لنا من قبل !

.. فأجابه « سكويلر »:

ـ إن ذلك هو النصر المبين !

وواصلت الحيوانات المسيرة و « بوكسر » يعرج وقد أحدثت به كُرات الرش التي استقرت تحت جلده ألماً شديداً، وكان في ذلك الوقت يُفكِر في العبء

الجسيم الذي ألقت به المعركة على أكتافهم؛ فإن الطاحونة التي قد نسفت لابدّ أن يعاد بناؤها من جديد !

ولقد عقد « بوكسر » العزم على تهيئة نفسه لهذا الغرض العظيم وللمرَّة الأوَّلى من حياته التي امتدت أحد عشر عاماً شعر بوطأة السنين وثقلها، كما أحس بالوهن يدب في عضلاته القويَّة !

وعندما شاهدت الحيوانات العلم الأخضر وهو يرفرف على ساريته، وسمعت دوى الرصاص للمرَّة السَّابعة و «نابليون » يقوم فيها خطيباً يهنئها على بسالتها، خُيَّل إليها في نهاية المطاف أنَّها قد أحرزت بالفعل نصراً عظيماً، وقامت بدفن ضحايا المعركة فى موكبٍ مهيبٍ ! وكان « بوكسر »، و « كلوفر » يجران العربة التي وسدت فيها الجثث، ويتقدَّمها « نابليون » شخصيًّا.

وظلت لعدة أيام بعد ذلك تحتفل بانتصارها بإلقاء الخطب وترديد الأناشيد وإطلاق الرصاص، ووزعت الهدايا عليها وأهدى لكُلِّ حيوان تفاحة، وكُلّ طائر أوقيتان من القمح، وكُلّ كلب ثلاثة قطع من البسكويت، وأطلق « نابليون » على الحرب الأخيرة اسم: (معركة الطاحونة). وقد أمر « نابليون » بتخصيص وسام تخليداً لذكرى المعركة من مرتبة وشاح العلم الأخضر الذي أنعم به على نفسه !!

وفي غمرة الابتهاج بالنصر نسيت الحيوانات قصَّة (البنكنوت) المزيف، وبعد أيام قلائل من هذه الاحتفالات أخرجت الخنازير من مخزن المنزل صندوقاً من (الويسكي) كانت قد تركته بعد استيلائها علي المزرعة، وفى هذا المساء سمعت الحيوانات صخباً شديداً ينبعث من منزل المزرعة، كما سمعت الخنازير تغنى بصوتٍ عالٍ، وتخلط الأنغام بعضها ببعض، وقد أدهشها أن تسمع بين هذا النشاز بعض فقرات من النشيد الممنوع: (يا وحوش إنجلترا). وفي السَّاعة التاسعة والنصف مساءً لمحت الحيوانات لدهشتها الشديدة « نابليون » وهو يرتدى قبعة مستر

«جونز » وقد خرج من الباب الخلفي للمنزل مهرولاً، ودار حول ساحة الفناء ثُمَّ عاد ثانياً من حيث جاء دون ما سبب واضح !!

وفى صباح اليَّوم التالي كان الصَّمت مخيماً على المنزل حتى السَّاعة التاسعة صباحاً، ثُمَّ خرج «سكويلر » وهو يمشى الهوينى، وتبدو عليه علامات المرض والاكتئاب وقد انتفخت عيناه وهو يجر ذيله جراً، وقد تهدل خلفه وجمع حوله الحيوانات ليتلو عليها الخبر المقتضب الآتي:

ـ إنَّ زعيمنا « نابليون » في النزع الآخر!

.. وعندئذ أخذت الحيوانات في الولولة، ثُمَّ قامت بفرش القش في الفناء لكيلا تحدث صوتاً يقلق راحة المحتضر، وكانت تمشي علي أطراف أصابعها، وإذا ما تحدَّثت فبالهمس، وكانت تتساءل بعضها بعضاً والدموع في مآقيها عن مصيرها إذا ما مات الزعيم !

وقد سرت إشاعة أنَّ « سنوبول » هو الذي دس السُم في طعام « نابليون »، وفى السَّاعة الحادية عشرة خرج عليها « سكويلر » ثانياً بالخبر التالي:

ـ أيها الرفاق، إنَّ زعيمنا قبل أن يوافيه الأجل المحتوم قد أصدر مرسوماً باتاً بعقوبة الموت بالإعدام على كُلِّ من تسول له نفسه بشرب الخمر!

وعند المساء سرت أنباء سعيدة بتحسن صحَّة الزعيم، وفى اليوم التالي أعلن «سكويلر » أنَّ صحَّة الزعيم في تقدُّم مطرد، وفى مساء اليوم التالي عاد « نابليون» إلى مهام منصبه، وفى اليَّوم التالي أصدر« نابليون » أوامره إلى مستر« ويمبر » بشراء المراجع الخاصَّة بطرق التخمير والتقطير.

وبعد أسبوع أصدر « نابليون » أوامره بحرث المرعى الصَّغير الذي خلف حديقة الفاكهة، وهو الذي كان قد أنفق على تخصيصه لكبار السن من الحيوانات التي تحال إلى التقاعد ! وقد علَّل إجراءه هذا بأنَّ الحشائش الضَّارة قد داهمت هذا

المرعى، فلزم الآمر بحرث الأرض وتجهيزها تمهيداً لإعادة زراعتها من جديد. ثُمَّ تبيَّن للحيوانات فيما بعد أنَّ « نابليون » قد أمر بزراعة هذا المرعى شعيراً.

وفي اللَّيلة ذاتها وقع بالمزرعة حادث مريب وإن لم تكن الحيوانات لتعرف ما وراءه ! فعند منتصف اللَّيل سمعت جميعاً صوتاً مكتوماً ينبعث من الفناء وكأنَّه جسم يرتطم هو والأرض من أعلي ! وقد هرعت الحيوانات من حظائرها؛ لتستطلع الخبر في ضوء القمر، وعند الحائط الخلفي لمبنى الحظيرة الكبرى حيث قد دونت الوصايا السبع وجدت الحيوانات سُلَّماً مهشما على الأرض و« سكويلر » ملقى بجانبه وهو في حالة ذهول مؤقت وقد سقط بجانبه مصباح وفرشاة وعلى الأرض بقايا طلاء أبيض يسيل من علبةٍ مقلوبةٍ !

وكانت الكلاب تحيط بـ « سكويلر » وكأنَّها تحرسه، ثُمَّ ما لبث أن أفاق من غشيته، وحينما استطلع النهوض انسحب قافلاً للمنزل بين دهشة الحيوانات التي استبد بها الفضول إلَّا « بنيامين »، فقد ظلّ صامتاً يهز رأسه وتبدو عليه سمات العارفين !!

وبعد ذلك الحادث بأيامٍ بينما كانت « موريل » تعيد لنفسها قراءة الوصايا السبع لاحظت أن وصية من بينها قد سبق للحيوانات حفظها على غير وجهها الصحيح؛ فإن نصّ الوصية الخامسة التي درجت الحيوانات على حفظها عن ظهر قلب كانت كما يأتي: « غير مسموح للحيوانات بشرب الخمور »، إلَّا أنَّ « موريل » في قراءتها الأخيرة اكتشف أنَّها كانت قد نسيت كلمتين عثرت عليهما من بعد لتصبح الوصية مكتملة كالآتي: « غير مسموح للحيوانات بشرب الخمور .. لحدِّ الإفراط » !!

***

الفصل
الثاني عشر

نبوءة الغراب !!

The prophecy of the crow !!

كان حافر « بوكسر » بطيئاً في التئامه، وقد ابتدأت الحيوانات في إعادة بناء الطاحونة بعد أن انتهت مهرجانات الاحتفال بالنصر مباشرة، ولم يكن « بوكسر » ليقبل أن يتوقف العمل يوماً واحداً برغم ما يعانيه من الألم البالغ.

كما كان اعتزازه بكرامته يأبى عليه أن يُطلع رفاقه على مدى إحساسه بتلك الآلام، فإذا ما أقبل المساء وانتهت نوبات العمل، قفل راجعاً إلى « كلوفر » يبث لها ما يعانيه.

وكانت « كلوفر » تعد له لدائن من الحشيش الممضوغ تداوي بها حافره المُصاب، وكانت هي و «بنيامين » يُلِحَّان عليه إلحاحاً شديداً أَلَّا يرهق نفسه هذا الإرهاق الشديد في عمله الدءوب، ولطالما ردَّدت « كلوفر » على مسامعه ما تعلمه من أنَّ رئة الخيل هي نقطة الضَّعف فيها يؤثِّر عليها الإجهاد الشديد تأثيراً سيِّئاً.

ولم يكن « بوكسر » ليستمع إليها، وآماله كُلَّها تتركز في ضرورة الانتهاء من تشييد الطاحونة، وأن يوفر لها كُلّ الإمكانات الضرورية قبل أن يبلغ سن التقاعد المُقرَّرة والتي لم يبق له على بلوغها إلَّا القليل.

ففي بداية حركة الانقلاب قنَّنت الثورة نظاماً تُحال بموجبه شتى الحيوانات إلى التقاعد عند سن مُحدَّدة، وكانت هذه السن اثني عشر عاماً للخنازير والخيل، وأربعة عشر عاماً للبقر، وتسعة أعوام للكلاب، وسبعة أعوام للأغنام، وخمسة أعوام للدجاج والإوز والبط، وقد طرحت هذه اللائحة للتصويت وحظيت بالإقرار بإجماع الحاضرين.

ولم يكن أحد من حيوانات المزرعة قد بلغ بعد سن التقاعد، ومع ذلك فقد أُعيد طرح موضوع التحديد لسن المعاش لمختلف الحيوانات المرَّة تلو المرَّة، وقد قيل أخيراً بعد أن تمَّ تمهيد المرعى الصَّغير وزُرع شعيراً: إنَّ جزءاً من المرعى الكبير سيتمَّ بناء سور له ويُخصَّص للمحالين إلى المعاش، كما قيل أيضاً: إنَّه قد اتفق على المخصَّصات المُقرَّرة للمتقاعدين وهى خمسة أرطال من الغلال يوميًّا يزاد عليها في الشتاء خمسة عشر رطلاً من الدريس، كما يُضاف إلى هذه الوجبة جزر أو تفاح في المناسبات.

وكان « بوكسر » سيصل إلى تمام سن الاثنى عشر عاماً في نهاية الصَّيف في العام التالي، وفي هذه الأثناء كانت الحيوانات تعمل عملاً متواصلاً في شتاء قارص كسَّابقه، وكان الغذاء المُتاح لها أقلّ ممَّا اعتادته.

ومرَّة أخرى تقرَّر تخفيض وجبات جمع حيوانات المزرعة ما عدا الخنازير والكلاب، وقد برَّر «سكويلر » ذلك التفاوت في المعاملة بقوله: إنَّ المساواة الكاملة في الوجبات تتنافى في جوهرها ومبدأ الحيوانية !

وقد قرأ عليهم البيانات الإحصائية التي يتضح منها بجلاءٍ أن وجباتهم المعدلة كافية برغم المظاهر التي تتعارض وهذه الحقيقة !

وكان « سكويلر » يصر على استعمال كلمة (التعديل) في المُقرَّرات الغذائيَّة بدلاً من لفظ (الإنقاص)، وقد اتضح من المقارنات الإحصائية التي ساقها لها أنَّها

بالفعل تحظى بغذاءٍ وافرٍ يفوق بكثير ما كان «جونز» يُقدمه لها. ويتضح منها مدى الرغد الذي تنعم به !

وفى صوتٍ سريع يفيض بالانفعال بيَّن للحيوانات الزيادة التي تحظى بها في كُلّ المواد الغذائية من القرطم والدريس واللفت، كما بيَّن لها انخفاض عدد ساعات عملها الفعلية في ظلِّ الثورة، وتحسن نوعية ونقاء مياه الشرب، وارتفاع متوسط الأعمار، وانخفاض نسبة وفيات الأطفال، كما أنَّها أصبحت تنعم بالمزيد من القش اللَّازم للتدفئة؛ كما هبطت نسبة وجود البراغيث كثيراً عمَّا كانت عليه قبل الانقلاب ! ولقد صدقت الحيوانات كُلّ ما أذاعه عليها « سكويلر »، وخصوصاً أنَّها أصبحت لا تتذكَّر عهد « جونز » بوضوحٍ !!

جميع الحيوانات تُعاني ولا شك من وطأة عمل قاس في ظلِّ ظروف صَّعبة؛ فهي تعمل طوال يومها برغم البرد والجوع، ولكنَّها برغم ذلك لابدّ أن تكون بالفعل أسعد حالاً ممَّا كانت عليه في العهد الماضي ! إن مثل هذه الحقائق التي أبرزها «سكويلر» والتي أضحت تقتنع بصحَّتها تضفى عليها بعض الرَّاحة والسَّعادة، كما ألمح « سكويلر» بنعمة الحُرِّيَّة التي تحظى بها وقد أسعدت الحيوانات فكرة العمل بوحيٍ من نفسها.

وعند قدوم الخريف جدّ على المزرعة أعضاء جدد، فقد وضعت أربع خنزيرات واحداً وثلاثين مولوداً يقع بالتالي على المزرعة عبء إطعامها، ولمَّا كانت جميع الخنازير الوليدة رقطاء اللَّون، ولمَّا كان «نابليون» هو الذكر الوحيد بين الخنازير الذي لم تجر عليه عملية الخصى، فقد كان يظن بالمزرعة أنَّه الأب الأوحد المحتمل، وذلك ما قد تمَّ بالفعل إعلانه رسمياً بعد ذلك، وقد تقرَّر بناء مدرسة خاصَّة بها حالما يوجد الطوب والخشب اللازمان.

وقد كان « نابليون » يشرف بنفسه على توجيه هذه الخنازير الصَّغيرة في مطبخ

المنزل، وكانت تتدرَّب على الرياضة بحديقة المنزل، كما صدرت إليها التعليمات بتجنُّب اللَّعب مع صغار الحيوانات الأخرى. وفي ذلك الوقت أيضاً صدرت التعليمات لحيوانات المزرعة بأنَّه إذا ما تقابل خنزير وحيوان آخر في ممر ضيق فإنَّه ينبغي على هذا الحيوان الآخر أن ينتحي جانباً ريثما يمرّ الخنزير! وكذلك أعطي الإذن لجميع الخنازير علي اختلاف رتبها بتزين ذيولها بالأشرطة الخضراء في أيام الآحاد !

ومع أن محصول الموسم كان جيداً فإن المزرعة كانت تُعانى من نقص العملات النقدية لشراء الطوب والرمل والجير لبناء المدرسة، وكذلك لتوفير شتى متطلبات الطاحونة من الأجهزة، وكان عليها أيضاً شراء البترول اللَّازم للإضاءة، والشموع للمنزل، والسكر لـ « نابليون » وحده، فقد أصدر أمره بحظر أكله على بقية الخنازير بدعوى حرصه على عدم ترهلها، وكذلك ينبغي شراء الأدوات المختلفة كالمسامير والحبال والفحم والأسلاك والحديد وبسكويت الكلاب !

ولذلك فقد بيعت كمية من الدريس ومحصول البطاطس؛ كما عدل عقد بيع البيض بحيث زيد إلى ستمئة بيضة أسبوعيًّا؛ ممَّا كان يُهدد بنقص عدد الدجاج بالمزرعة بعد أن اتضح أنَّ البيض المخصَّص للفقس في هذا العام لم يكن كافياً، وقد تقرَّر إنقاص الوجبات المُقرَّرة للحيوانات في شهر ديسمبر(كانون الأوَّل) وأُعيد إنقاصها في فبراير(شباط)، كما حظر عليها استعمال المصابيح في حظائرها اقتصاداً للبترول، وبرغم ذلك فإن للخنازير كانت دائماً في أحسن حال، بل إنَّها بدت أكثر وزناً !

وبعد ظهر يوم من الأيام سرت رائحة زكية تنبئ بغذاء دافئ جيد الطهي، ولم تكن الحيوانات قد شمَّت من قبل مثل هذه الرائحة التي كانت تنبعث من معمل التخمير الذي يقع خلف المطبخ والذي كان قد أهمل منذ رحيل مستر «جونز»، وظلت الحيوانات تشمّ هذه الرائحة المنبعثة التي تشبه رائحة الشعير المطبوخ وهى

تحلم بوجبةٍ ساخنةٍ عند العشاء تهدئ من شدة البرد الذي تعانيه عند حلول المساء.

ولكن حُلمها هذا كان بعيداً عن التحقيق، بل على العكس من ذلك؛ ففي اجتماع يوم الأحد التالي تلقت الحيوانات الآمر بتخصيص كُلّ إنتاج الشعير لاستعمال الخنازير وحدها، وكان الحقل الذي خلف حديقة الفاكهة قد زُرع شعيراً بالفعل.

وقد تسربت الأنباء للحيوانات أنَّه قد قُرِّر لكُلِّ خنزير قدح من الجعة يوميًّا، على حين خُصِّص لـ «نابليون» نصف جالون[1] يُقدَّم له في صحنٍ عميقٍ مصنوع من الصيني الفاخر !!

بالفعل، أصبحت الحياة أمام الحيوانات قاسية، وإن كان يُخفِّف عليها بعض هذه القسوة شعورها بمزيدٍ من الكرامة أكثر من ذي قبل، وكذلك فإنَّها كانت تنعم بمزيدٍ من الأغاني والخطب والمواكب، كما أمر « نابليون » أن تُقدَّم لها كُلّ أسبوع حفلة مفاجآت تدور في محورها حول انتصار مزرعة الحيوانات وحتمية النضال !

وفى المواعيد المُقرَّرة لانتهاء العمل كانت الحيوانات تصطف وتسير في مشيةٍ عسكريةٍ حول حدود المزرعة، وقد تقدَّمت الخنازير الصَّف تتبعها الخيل ثُمَّ البقر فالغنم، وأخيراً طيور المزرعة، في حين تمشى الكلاب على جانبي الموكب يتصدرها جميعاً ديك « نابليون » الأسود ! وكان « بوكسر »، و «كلوفر » يحملان فيما بينهما علم المزرعة الأخضر يزينه حافر وقرن، وقد كُتب عليه: (يعيش الرفيق نابليون)، وبعد ذلك الموكب كانت تتلى عليها قصائد المديح للزعيم « نابليون »، ثُمَّ تبدأ خطبة «سكويلر » لبيان آخر تطوُّرات المركز الإحصائي لزيادة الإنتاج الغذائي، وتيمناً بهذه المناسبة، تُطلق رصاصة من البندقية !

وكانت الغنم أكثر الحيوانات ترحيباً ومساهمة في مثل هذه الحفلات المرتجلة، وإذا ما همس أحد الحيوانات بالشكوى (وهو ما كانت تفعله إذا لم يكن الخنازير

(1) جالون: يُعادل4,546,09 سم مكعب من السوائل، أي نحو 4,5 لتر. (المُعد).

أو الحمام بجوارها) من طول الحفلات، ممَّا يضيع عليها الوقت، ويعرضها للوقوف الطويل في الصَّقيع كانت الغنم تسرع إلى إسكاته بهتافها المدوي: (ذوات الأربع أخيار ! ذوو الرجلين أشرار!).

ولكن الغالبية العظمي من الحيوانات كانت تسعد بهذه الحفلات وما فيها من خطبٍ عن الحُرِّيَّة؛ كما كانت تسعد أيضاً بالأغاني والمواكب، وبيانات ««سكويلر» الإحصائية، وفرقعة البارود، وأذان الديك، ورفع العلم؛ فإن كُلّ هذا كان ينسيها وطأة الجوع الذي كانت تعانيه ولو لبعض الوقت.

وفى أبريل (نيسان) أعلنت مزرعة الحيوان أنَّها قد اختارت النظام الجمهوري كنظامٍ للحكم، وأنَّه يتعيَّن انتخاب رئيس للجمهورية، ولمَّا لم يكن أحد قد تقدَّم للترشيح لهذا المنصب إلَّا « نابليون » وحده فقد انتخب بإجماع الآراء!

كما أذيع في اليوم نفسه أنَّه قد تمَّ العثور على وثائق جديدة يتضح منها بجلاءٍ تآمر « سنوبول » مع « جونز »، وهى تفاصيل تؤكِّد دور « سنوبول » في الخيانة، فإنَّه لم يكتف ـ كما كان يتصور ـ بالعمل على طعن زملائه الحيوانات من الظهر عند معركة (زريبة البقر) وفقاً لخطةٍ مدبرةٍ، بل إنَّه حارب جهاراً في جانب « جونز » وفي وضح النَّهار، بل إنَّه كان في حقيقة الأمر يقود بنفسه حملة الآدميين، وإنَّه قد ابتدر المعركة وهو يصيح: (عاش بنو آدم) ! أمَّا الجروح التي كانت تدمى ظهره، والتي كانت الحيوانات تظنها من أثر بندقية « جونز » فلم تكن في حقيقة أمرها إلَّا بفعل أسنان « نابليون » !

وفي منتصف الصَّيف ظهر في المزرعة فجأةً الغراب « موسى » بعد غياب استمر لعدة أعوام، ولم تكن طبائعه قد تغيَّرت في شيءٍ؛ فهو كسول لا يُحّب العمل، وحينما يتكلَّم فإنَّه كان يؤكِّد من جديد قصَّته القديمة عن جبل (السكر نبات) ،

ولقد كان يجثم[1] علي جذع شجرة قديمة، ويفرد جناحيه الأسودين، ويتكلم في هذا الموضوع لسَّاعاتٍ طويلة لمَنْ يستمع إليه.

وكان يشير بمنقاره الضخم إلى السَّماء، ثُمَّ يقول في وقارٍ:

ـ هنالك في السَّماء أيها الرفاق، هنالك في أعالي السَّماء وخلف هذه السحابة الداكنة التي ترونها بأعينكم جبل (السكر نبات) موطن السَّعادة حيث تلجأ إليه الحيوانات التعسة إلي الأبد تستريح من شقاء الدنيا !

بل إنَّ « موسى » وصل به الحدّ إلى الإدعاء بأنَّه صعد إلى السَّماء بنفسه، وشاهد حقول البرسيم يحدها سور من الفطائر وكتل السكر !

وقد آمن بنبوءته كثير من الحيوانات التي استحالت حياتها إلى تعاسة ما بعدها تعاسة، وإلى جوع مرير، وقد صوَّرت لها أمانيها أنَّ عالماً آخر لابدّ أن ينتظرها حيث يسود العدل ويعم الحق !

ولم تكن طبيعة العلاقة ما بين الخنازير والغراب مفهومة؛ فمع أنَّها كانت تسخر بنبوءته عن جبل (السكر نبات) فإنَّها مع ذلك قد سمحت له بالإقامة في المزرعة بلا عمل، بل إنَّها كانت تصرح له بقدح صغير من الجعة يوميًّا !

***

(1) يجثم: جَثَم الحيوانُ والإنسانُ: أي لزم مكانَهُ فلم يَبْرَحْ، أَو لَصِقَ بالأَرضِ. (المُعد).

الفصل
الثالث عشر

الغدر يطال الأوفياء !!

Treachery affects loyal people !!

التأم حافر « بوكسر » وهو مستمر في عمله بعزيمةٍ لا تعرف الملل أو الكلل، وحينما تمَّ له الشفاء انكَّب على عمله بعزيمةٍ أقوى من ذي قبل؛ كما كانت الحيوانات كُلها تعمل كما يعمل العبيد الأرقاء طوال عامها، فبجانب العمل في إعادة بناء الطاحونة وفلاحة الحقل كان عليها بناء مدرسة خاصَّة لصِغار الخنازير، وابتدأت في بنائها في شهر مارس (آذار) بالفعل.

وبرغم قسوة العمل مع نقص الوجبات الغذائية فإن « بوكسر » لم تفتر عزيمته ولم تبد عليه في أحاديثه أو عمله أيّة ظاهرة من ظواهر الشيخوخة، وإن كان مظهره قد تغيَّر بعض الشيء؛ فقد انطفأت لمعة شعره، ونقص حجم جسمه، وكان أصدقاؤه يأملون له أن يسترد وزنه إذا ما أقبل الربيع، إلَّا أن آمالهم لم تتحقَّق في هذا الشأن، بل إن مظاهر الضَّعف ابتدأت تلوح عليه حينما كان يصعد المرتفع الصَّعب من المحجر إلى موقع الطاحونة، وكانت قوَّة إرادته وحدها هي التي تبقيه واقفاً على أرجله، وكانت الحيوانات تراه وهو يجاهد ويتمتم: سأعمل أكثر، وصوته لا يكاد يخرج من فمه من الضَّعف والوهن.

وكانت « كلوفر »، و وكذلك « بنيامين » يحذرانه من مغبة تبديد ما بقى له من عافيةٍ، وهو لا يلتفت إلى نصحهما، وكان قد أوشك أن يقرب من الاثنى عشر عاماً، وقد كرَّس كُلّ همَّه في أن يجمع للحيوانات القدر الكافي من الحجارة لإعادة بناء الطاحونة قبل أن يصل إلى سن التقاعد!

وفي ساعةٍ متأخرةٍ من مساء الصَّيف سرت في المزرعة شائعة مفادها أن سوءاً قد وقع لـ « بوكسر» حينماً كان يجر بمفرده أحمالاً من الحجارة إلى موقع الطاحونة، ثم أقبلت حمامتان مذعورتان بالخبر اليقين، فقد انكفأ « بوكسر » على جانبه وإنَّه لا يستطع حراكاً !

وهبَّ أكثر من نصف حيوانات المزرعة مندفعاً إلى الربوة وإذا بها تجد «بوكسر» مطروحاً بين عارضتي عريشة العربة ورقبته ممدودة إلى الأمام وهو عاجز أن يقيم رأسه وقد غمر العرق الأبيض جانبيه ! وكانت عيناه تلمعان كالزجاج ليس فيهما أثر للوعي أو الإدراك، وكان شريط رفيع من الدماء يسيل من فمه.

وقد ركعت « كلوفر » على ركبتيها الأماميتين بجواره، وهى تناجيه:

ـ « بوكسر » كيف حالك ؟

.. وبصوتٍ واهنٍ أجابها « بوكسر »:

ـ رئتاي !

.. ثُمَّ تمتم:

ـ لا شيء يهمني الآن وقد جمعت من الحجارة ما يكفى لبناء الطاحونة، وأظنكم قادرين على إكمالها بعدى !!

.. وأضاف:

ـ أنَّني اقتربت من السن المُقرَّرة للتقاعد ولم يبق لي على بلوغها إلَّا شهر واحد

على أي حال، وإنَّني كنت أتطلع بأملٍ كبيرٍ إلى بلوغ سن التقاعد، لقد كنت أخفى عنكم أملى هذا، وقد أسعدني أنَّ « بنيامين » كاد يناهز هو أيضاً السن المُقرَّرة؛ وما أظن أحداً سيضن علينا بالرَّاحة بعضنا إلى جوار بعض !

.. فقالت « كلوفر » له:

ـ يجب أن ننقلك في الحال إلى مباني المزرعة.

.. وأهابت بإحدى الحيوانات أن تذهب لتبلغ « سكويلر » بما حدث.

وانفضت الحيوانات من حوله إلَّا « كلوفر »، و« بنيامين » الذي ركع بجانبه دون أن يهمس بكلمةٍ يذود عنه الذباب بذيله الطويل.

وبعد ربع ساعة حضر «سكويلر » وحوله الحيوانات وهو يبدى اهتمامه وتعاطفه، كما أبلغ «بوكسر» أنَّ الرفيق « نابليون » قد أُحيط علماً بالأنباء، وأنَّه يبدى بالغ أسفه لما حلّ به، وخصوصًا أنَّه يعتبره أخلص العاملين بالمزرعة، وأن ترتيبات قد اتخذت بالفعل لنقله إلى المستشفى البيطري في «ويلنجدون».

وقد شعرت الحيوانات بشيءٍ من الجزع لنبأ إزماع نقل « بوكسر » إلى المستشفى؛ فان أحداً منها لم يبرح قط حدود المزرعة بخلاف « مولى »، و«سنوبول »، وإن فكرة وضع « بوكسر » تحت رعاية الآدميين لم تكن لتسعدها، إلَّا أن « سكويلر » أفهمها أنَّ علاج « بوكسر » يحتاج إلى رعايةٍ خاصَّةٍ لا تتوافر بالمزرعة.

وبعد ذلك بنصف ساعة حينما استرد « بوكسر » بعض عافيته فوقف على أقدامه بصعوبةٍ، وانسحب إلى حظيرته في بطءٍ، على حين هيأت له « كلوفر » ومعها « بنيامين » كومة من القش، لينام عليها.

وظلّ « بوكسر » طريح فراشه يومين كاملين، وقد عثرت الخنازير على زجاجةٍ من الدواء وجدتها في حمام المنزل بعثت بها إلي « بوكسر ». وكانت « كلوفر »

تزوده بجرعتين منها بعد الأكل وفي المساء بعد انتهاء العمل، كما كانت توافيه وتنام معه في حظيرته وتتحدَّث إليه، كما كان « بنيامين » يزوره ويذود عند الذباب بذيله.

وكان « بوكسر » كعادته شجاعاً في مرضه، ولم يكن يشعر بالأسى على نفسه، فإذا ما قُدر له الشفاء فإنَّه يتوقَّع أن يعيش لثلاث سنوات أخرى في ركنٍ من المرعى الكبير يقضيها في راحةٍ وسلامٍ.

وقد كان يصبو إلى هذه الفرصة التي ستتيح الوقت الكافي للدراسة والمعرفة، حيث كان يأمل أن يحفظ بقية حروف الهجاء الباقية وعددها اثنان وعشرون حرفاً. وظلت « كلوفر » وكذلك « بنيامين » يزورانه كُلّ يوم بعد انتهاء ساعات العمل.

وفى ظهر يوم من الأيام بينما كانت الحيوانات تقوم بزراعة اللفت تحت إشراف الخنازير حضرت إلى المزرعة عربية ضخمة لنقل « بوكسر »، وقد دُهشت الحيوانات حينما رأت « بنيامين » يهرع إليها من ناحية مباني المزرعة وهو ينهق بأعلى صوته.

وكانت هي المرَّة الأوَّلى التي تبصر فيها الحيوانات « بنيامين » وقد استبد به الانفعال. وكذلك فقد كانت المرَّة الأوَّلى التي رأته فيها وهو يعدو ويصرخ بأعلى صوته:

ـ تعالوا حالاً ، إنهم يأخذون « بوكسر » بعيداً !

ودون أن تستأذن الحيوانات الخنازير انقضت عن أعمالها هارعة إلى مباني المزرعة، حيث أبصرت عربة نقل علي هيئة صندوق يجرها حصانان، وعليها كتابة بالحروف الضخمة، ويسوقها حوذي يرتدى قبعة ذات شكل خاصّ، وانطلقت الحيوانات إلى العربة تودع « بوكسر » وهى تدعو له بالسَّلامة.

وصاح فيهم « بنيامين »:

ـ أيها المغفلون.. أيها المغفلون..

.. قال هذا، وهو يدور حولهم ويدق الأرض بحافره:

ـ أيها المغفلون ألَّا تعلمون ما معنى الكتابة التي دونت على العربة ؟

.. وخيَّم الصَّمت على الحيوانات، وابتدأت « موريل » في فك الرموز، ولكن « بنيامين » دفعها جانباً، ووسط ذهول الحيوانات انبرى يقرأ الكتابة، فكانت: (ألفريد سمونذر ـ ويلنجدون ـ جزار خيول ـ ومتعهد جلود وعظام ـ ومورد غذاء للكلاب) !!

.. وصاح ««بنيامين» فيهم قائلاً:

ـ ألَّا تدركون بعد ما يدور حولكم ؟ إنَّهم يقذفون « بوكسر » إلي الجزار !!

.. وانبعثت من الحيوانات صيحات الذُّعر والاستنكار. وعند هذه اللَّحظة ألهَّب الحوذي خيله بالسوط, وتحرَّكت العربة تجرها الخيل.

وتبعت الحيوانات العربة وهى تعدو وتولول ولولةً عاليةً، واندفعت « كلوفر » وهى تعدو بأسرع ما تستطيع أرجلها وهى تصيح:

ـ « بوكسر ».. « بوكسر ».. « بوكسر »..

.. وعند سماع صوتها أطل « بوكسر» برأسه ذوى الوسمة البيضاء، فابتدرته «كلوفر » محذرة:

اخرج بسرعةٍ من العربة، بسرعةٍ، إنَّهم يسوقونك إلى حتفك !

.. وصاحت الحيوانات:

ـ أهرب يا « بوكسر ».. أهرب..

.. ولكن العربة كانت تسرع في جريها وهى تتجه نحو باب المزرعة.

ولم تكن « كلوفر » على يقين أنَّ « بوكسر » قد فهم فحوى رسالتها، إلَّا أن رأس « بوكسر » اختفى من فتحة العربة، ثُمَّ سمعت الحيوانات أصوات حوافر

«بوكسر» وهي تُحدث بجدران العربة الخشبية ضجيجاً هائلاً محاولاً أن يجد لنفسه منفذاً إلى الهرب !!

لقد كان الزمن الذي كان فيه « بوكسر » يستطيع تحطيم صندوق العربة إلى شظايا كعيدان الثقاب قد ولى وانتهي، فهو الآن عجوزاً محطماً، وما هي إلَّا لحظات قليلة من المحاولة حتى خفتت أصوات حوافره، وخيَّم الصَّمت على العربة من جديد، وفى محاولةٍ يائسةٍ اندفعت الحيوانات تجرى وراء العربة وهى تناشد حصاني العربة ألَّا يأخذا أخاهما إلى حتفه !

وتحرَّكت آذان الحصانين إلى الخلف يتسمعان هذه الجلبة وإن كانا لا يفهمانها واندفعا بسرعةٍ إلى الأمام، ثُمَّ شرعت الحيوانات في الاندفاع إلى بوابة المزرعة ذات العوارض الخمس وسدّ طريق الخروج أمام للعربة إلَّا أنَّها كانت قد أقربت منها وشقت طريقها إلى خارجها، وقد اختفى « بوكسر » معها إلى الآبد !

وبعد ثلاثة أيام أُعلن نبأ وفاة « بوكسر » بمستشفى « ويلنجدون » برغم ما لقيه فيها من عنايةٍ بالغةٍ؛ وقد نعي « سكويلر » إلى الحيوانات « بوكسر »، وقرَّر أمامها أنَّه ظلّ بجانبه في المستشفى حتى لحظاته الأخيرة، وذكر لها وهو يمسح بظلفه دمعة لم يستطع أن يحبسها أن المنظر الذي تعرَّض له حينما كان في صحبة « بوكسر » كان مؤثراً وعاطفيًا، وأنَّه قد تعرَّض إلى موقفٍ لم يكن ليحتمله حينما كان بجانب سريره يستمع إلي صوته الواهن وهمسه المنخفض في أذنه، ونقل لها ما قاله قبل أن يموت :

إنَّ الأسى ليعصر قلبي لأنَّني لم يُقدر لي أن أشهد الطاحونة وقد اكتملت في حياتي.

ثُمَّ استطرد « سكويلر » يقول :

ـ ولقد لفظ أنفاسه الأخيرة وهو يهتف: إلى الأمام أيها الرفاق في ظلِّ الثورة.. تعيش مزرعة الحيوان.. يعيش الرفيق « نابليون ».. « نابليون » دائماً علي حق !

وهنا توقَّف « سكويلر » فجأةً عن الكلام وقد احتقن وجهه من الغيظ، وعيناه ترمقان الحيوانات التي بدت عليها علامات الحزن والأسى والتحدي، وقد انتفض انتفاضةً شديدةً تدل على استيائه وتوتُّره فقد نما إلى علمه أنَّ إشاعة حقيرة سخيفة قد سرت في المزرعة حينما حضرت العربة لنقل « بوكسر »، وقد كُتب عليها (جزار الخيول) كما قرأت الحيوانات، فظنت الظنون، واستنتجت ما شاء لها الهوى من أنَّ « بوكسر » قد بيع إلى الجزار!

..فقال « سكويلر »:

ـ إنَّني لا أكاد أُصدق أن يصل الغباء ببعض الحيوانات إلى هذا الحدّ !

.. ثُمَّ صاح وهو ينتفض ويميل من جانبٍ إلى آخر، وقد هزّ ذيله بعصبيةٍ:

ـ إنَّكم تعرفون تماماً المبادئ التي يقف من أجلها زعيمنا المحبوب الرفيق «نابليون»، وإنَّ المسألة ذاتها لا تحتاج لكثيرٍ من الإيضاح؛ فإنَّ المستشفى الذي بعث بتلك العربة كانت قد اشترتها من محل جزارة؛ ولم يتح للمستشفى الوقت الكافي لإزالة ما كان على العربة من كتابةٍ قديمة.. ومن هنا وقع الالتباس في الفهم.

.. وقد استراحت شتى الحيوانات لهذا التفسير، وحينما أعاد « سكويلر » وصف السَّاعات الأخيرة التي قضاها بجانب سرير « بوكسر » بشيءٍ من الإسهاب ومدى الرعاية الطبيَّة الكاملة التي عُومل بها، والأدوية مرتفعة الثمن التي قرَّر «نابليون» شراءها برغم تكاليفها الباهظة، فإن البقية الباقية من الشكوك التي كانت تراود الحيوانات قد تبدَّدت تماماً، كما خفَّف من لوعتها على رفيقها الفقيد أنَّه على الأقلّ قد أسلم الروح وهو سعيد !

وفي يوم الأحد التالي ظهر « نابليون » شخصيًّا وقد قام بتأبين « بوكسر » بكلمةٍ قصيرةٍ، وأبدى بالغ أسفه أنَّه لم يستطع استعادة جثمان الفقيد لدفنه في ثرى المزرعة إلَّا أنَّه قد أمر يعمل إكليل ضخم من الزهور وإرسالها لتوضع على قبره.

كما ذكر أنَّ الخنازير قد عقدت العزم كذلك على إقامة وليمة لذكرى الفقيد العزيز. وقد ختم « نابليون» خطبته ذاكراً أنَّ الفقيد كان يتمثَّل بشعارين لازماه حتى ساعاته الأخيرة،هما: (سأعمل أكثر)، و(نابليون دائماً علي حق) وأن علي الحيوانات أن تقتدي بهذين الشعارين الغاليين !

وفى اليوم المُحدَّد للحفلة التأبينية حضرت إلى المزرعة عربة بقالة «ويلنجدون»، وسلمت صندوقاً خشبيًّا ضخماً إلى منزل المزرعة، وفى هذه اللَّيلة سمعت الحيوانات غناءً، صاخباً ينبعث من المنزل تلاه صوت مشادات حامية انتهت بأصوات تهشيم الزجاج، ثُمَّ خفتت هذه الضوضاء عند السَّاعة الحادية عشرة مساء !!

وفي اليَّوم التالي ظلّ السكون مخيماً على منزل المزرعة حتى الظهر، وتردَّدت إشاعة بالمزرعة مفادها أن الخنازير قد تمكَّنت في اللَّيلة السَّابقة من شراء صندوق من الويسكي بطريقةٍ ما !!

***

الفصل
الرابع عشر

الحيوانات تتشبه بالبشر !!

Animals are like humans !!

ومرَّت الأعوام بين مواسم تنقضي وأخرى تقبل، مات في غضونها كثير من الحيوانات ذات الأعمار المحدودة حتى لم يعد بالمزرعة من الحيوانات مَنْ يذكر عهد ما قبل الثورة، ما عدا: « كلوفر»، و« بنيامين »، والغراب « موسى »، وبعض الخنازير.

في حين نفق كثير من الحيوانات، منها: « موريل »، و« بلوبل »، و«جيسي»، و« بنشر »، وكذلك فإن مستر « جونز » قد وافاه الأجل المحتوم في مستشفى بعيد خاصّ بعلاج مدمني الخمر!

وقد طوي النسيان « سنوبول »، وكذلك فإن ذكرى « بوكسر » قد انمحت إلَّا في قلوب قلة من الذين عرفوه وأحبوه ! وأصبحت « كلوفر » فرساً عتيقة ضخمة البنية، وقد أُصيبت مفاصلها بشيءٍ من التيبُّس، وأصبحت وكأن عينيها دائماً مغرورقتان بالدموع، وقد بلغت من العُمْر ما يزيد على سن التقاعد بعامين، إلَّا أن فكرة الإحالة إلى التقاعد في المزرعة لم تعد قابلة للتطبيق، بل

إن الحديث فيها قد انتهى، كما انتهت فكرة تخصيص جزء من المرعى للمسنين من الحيوانات.

أمَّا « نابليون » فقد أصبح خنزيراً بالغاً ضخماً يزيد وزنه على336 رطلاً، وكذلك فإنَّ « سكويلر » قد بلغ من السمنة بحيث أصبح لا يمكنه فتح عينيه للرؤية إلَّا بصعوبةٍ، أمَّا « بنيامين » فقد ظلّ بدون تغيير إلَّا من بعض الشعيرات البيضاء حول فمه، وقد أثَّر في حالته النفسيَّة موت « بوكسر » فصار أكثر صمتاً وانطواءً.

وقد أزادت أعداد الحيوانات بالمزرعة وإن كانت بدرجة أقلّ ممَّا كان متوقعاً في السنوات الأوَّلى من الانقلاب. وقد وردت على المزرعة حيوانات لا تكاد تعرف شيئاً عن الثورة إلَّا القليل ممَّا تتناقله الحيوانات الأخرى؛ كما اشترت مزرعة الحيوان بعض الحيوانات التي لم يسبق لها أن سمعت شيئاً عن الثورة من قبل !

وقد أصبحت المزرعة تمتلك في ذلك الوقت خيولاً ثلاثاً بجانب « كلوفر » تتصف بالنشاط والإقبال على العمل وحُبّ الرفاق، وإن كانت في غاية الغباء حتى إن أحداً منها لم يستطع حفظ حرف واحد من حروف الهجاء بعد الباء ! وكانت هذه الخيول تصدق كُلّ ما تتلقنه عن الثورة ومبادئ « المذهب الحيواني » Animalism، وخصوصًا إذا ما نُقل لها عن طريق « كلوفر » التي كانت تشعر نحوها باحترام الأمومة !

وقد أصبحت المزرعة في عهدها الجديد أكثر رخاءً وأحدث تنظيماً، وقد ضم إليها حقلان اشتريا من مستر « بلكنجتون »، وصارت المزرعة تمتلك آلة للدراس، وأخرى لتجميع الدريس، كما شُيدت مبان أخرى كثيرة، واشترى « ويمبر » لنفسه عربة صغيرة؛ كما تمَّ بناه الطاحونة بنجاحٍ في آخر الأمر وإن لم تستغل في أغراض توليد الكهرباء، واكتفي بتشغيلها كمطحنةٍ للغلال، وقد درت على المزرعة أرباحاً

طائلةً، وكذلك انشغلت الحيوانات في بناء طاحونة أخرى بزعم أنَّها ستزود بجهاز توليد الكهرباء.

وقد نسيت الحيوانات الوعود القديمة التي طالما ردَّدها « سنوبول » على مسامعها والتي كانت تحلم بها، مثل: تزويد الحظائر بالمصابيح الكهربية، والمياه الباردة والساخنة، واقتصار العمل على ثلاثة أيام فقط بالأسبوع ! وقد وصم « نابليون» هذه الأفكار بأنَّها تعارض جوهر المذهب الحيواني، فإنَّ السَّعادة الحقيقية تكمن كما قال في العمل الجاد والتقشُّف في الحياة !

وبرغم زيادة ثراء المزرعة فقد ظلت الحيوانات التي تعيش بها على سيرتها الأوَّلى من الفقر ما عدا الخنازير ـ بطبيعة الحال ـ وكذلك الكلاب، وربما كان تعليل ذلك أنَّ الخنازير أصبحت تمثل الأغلبية بالمزرعة، ولم تكن الخنازير عاطلة لا تعمل، وإنما كانت لها تخصُّصات دقيقة لا يستطيعها أحد غيرها، كما كان « سكويلر » يذكر مراراً وتكراراً للحيوانات أنَّ الخنازير تؤدى أعمالاً جليلةً لا تكاد تنتهي في مجالات الرقابة والتنظيم الإداري بالمزرعة، وأنَّ كثيراً من هذه الأعباء أصعب من أن يتناولها الشرح، وإن كان في صورتها المبسطة عبارة عن تحرير الملفات والتقارير والمذكرات ومحاضر الجلسات وتدوينها !!

ومثل هذه الأعمال تؤدَّى بالكتابة على كمياتٍ ضخمةٍ من الورق، فإذا ما تمَّ لها تحبير هذه الأوراق فإنَّها بعد ذلك تجمعها وتحرقها بالفرن، وأفهمها « سكويلر » أن مثل هذه الأعمال هي من الأهمية بمكانٍ لرفاهية المزرعة برغم ما يبدو من أنَّ الخنازير والكلاب لا تُساهم مباشرة بالجهود العضلي وأن شهيتها دائماً ممتازة.

أمَّا الحيوانات الأخرى فقد كانت حياتها تسير على نمط واحد؛ فهي دائماً جوعي تنام على القش، وتشرب من البركة، وتعمل في الحقل، وفى الشتاء تُعانى من البرد، أمَّا في الصَّيف فهي تعاني من الذباب، وفي بعض الأحيان فإنَّ العجائز

منها كانت تعصر ذاكرتها؛ لتعود بها إلى أيام الثورة الأوَّلى بعد طرد « جونز »، وماذا كانت عليه حالها في ذلك الوقت بالمقارنة مع ما هي عليه الآن من حيث السَّعادة والشقاء ؟ ولكنَّها كانت لا تذكر شيئاً تستطيع به مضاهاة الماضي بالحاضر اللَّهم إلَّا بيانات «سكويلر» الإحصائية والتي يتضح منها بجلاءٍ أنَّها تتقدَّم يوماً بعد يوم ! ولكن تفكيرها في هذا الشأن لم يكن ليقودها إلى جوابٍ شافٍ؛ كما أن عملها اليومي الشَّاق لم يدع لها فراغاً للتفكير.

أمَّا « بنيامين » العجوز فقد كان يدعى أنَّه يذكر كُلّ تفاصيل حياته المديدة الماضية، وكان يُكرِّر القول بأن الحياة هي الحياة، وأنَّها لم تكن فيما مضي أسوأ أو أحسن ممَّا هي عليه الآن، فهي تمضي رتيبة ديدنها[1] دائماً الجوع والتَّعب وخيبة الآمل ! ومع ذلك فإن الحيوانات لم تكن لتكف عن الأمل في المستقبل؛ كما أنَّها لم تفقد ولو للحظة واحدة شعورها بالفخر والاعتزاز بانتمائها إلى مزرعة الحيوان؛ فهي الحيوانات الوحيدة في أنحاء إنجلترا التي تمتلكها بنفسها وتدير مزرعتها الخاصَّة !

ولم يكن ليشذ عن هذا الشعور بالإعجاب أحد منها صغيراً كان أو قادماً جديداً ممَّن أُشترى من المزارع الأخرى التي تبعد عشرة أو عشرين ميلاً، وحينما يدوى صوت البندقية أو يرفرف العلم الأخضر فوق ساريته فإن قلوبها كانت تعمر بالفخر الأبدي، وتعود إلى أحاديث البطولات الماضية حينما استطاعت الحيوانات طرد «جونز »، وحينما دوَّنت الوصايا السبع، وحينما استطاعت أن تنتصر على الآدميين في معارك مشهودة !

إنَّها الأحلام الذَّهبيَّة التي لم يستطع الزمان أن يجرى عليها بالنسيان، بل إن الحيوانات كانت يُداعبها الأمل القديم الذي تنبأ به « ماجور » من دحر الآدميين وتطهير كُلّ حقول إنجلترا الخضراء منهم. إنَّ هذا اليوم لقادمٍ، وربما كان وشيكاً،

(1) ديدنها : الدَّيْدَنُ: يعني العادة والدَأب. (المُعد).

وربما تحقَّق في حياتها، ولكنَّه يوم لا ريب فيه، بل إن الحيوانات في خلواتها كانت ما تزال تُدمدِم بلحن (يا وحوش إنجلترا) كُلَّما أتيحت لها الفرصة، وعلى أي حال فإنَّها كانت تحفظ اللَّحن وإن لن تستطع التغني به جهزاً !

ربما كانت حياتها شاقة والكثير من آمالها كان بعيداً عن التحقيق، ولكنَّها تدرك تمام الإدراك أنَّها حيوانات ليست كبقية الحيوانات الأخرى، فهي إذا ما جاعت فإنَّها لا تعتمد في القليل الذي تأكله على الآدميين المتجبرين ! وإذا ما أُرهقت في العمل فإنَّها تدرك أنَّ عملها يعود عليها؛ كما كان يسعدها أنَّه ليس بالمزرعة مَنْ يمشى على رجلين اثنين، وليس بينها سيِّد وعبد؛ أليست كُلّ الحيوانات سواسية ؟

وفي ذات يوم من أوائل الصَّيف أمر « سكويلر » الغنم أن تتبعه إلى أرض قفر في الطرف البعيد من المزرعة حيث تنبت شجيرات البتولا[1]، وكانت تقضى طوال يومها وهى ترعى أوراق الشجيرات تحت إشراف « سكويلر »، وفى المساء كان «سكويلر» وحده يرجع إلى منزل المزرعة على حين يترك الغنم في مرعاها في ليل الصيف الدافئ.

وظلت الغنم على هذه الحال أسبوعاً كاملاً لا تتصل في غصونه بالحيوانات الأخرى مطلقاً، كما ظلّ «سكويلر » طوال هذا الوقت معها مدعياً للآخرين أنَّه على وشك تلقينها أغنية جديدة، وبعد عودة الغنم وفى ليلةٍ من ليالي الصَّيف اللطيفة حينما انتهت الحيوانات من عناء عملها وهى تتجه إلى مباني المزرعة تناهى إلى

---

(1) شجرة البتولا **Betula**: أو التامول **Birch** هي شجرة نفضية, لها تأثير إيجابي على البيئة كبقية النباتات الخضرية, كما لها فوائد غذائية في بعض البلاد. وتضم مجموعة البتولا حوالي أربعين شجرة وشجيرة لينة، تنمو في أجزاء من أوروبا، وشمالي آسيا وأمريكا الشمالية. ولها قلف رقيق يُسلخ على شكل طبقات أفقية. وتنتج البتولات سنابل حرشفية تحتوي على أزهار صغيرة. ويمكن لأشجار البتولا أن تنمو على شكل أزواج أو مجموعات. وتكون خضراء ساطعة ثُمَّ تتحوَّل إلى اللَّون الأصفر في الخريف. (المُعد).

أسماعها صهيل حصان فزع ينبعث من الفناء وقد توقفت الحيوانات؛ لتسمع من جديد، فإذا الصهيل ينبعث ثانياً وخُيَّل إليها أنَّها « كلوفر »، فاندفعت الحيوانات تجرى إلى الفناء فإذا بها تبصر الشيء الذي أفزعها وأفزع « كلوفر » أيضاً، لقد كان أمامها خنزير يمشى على رجليه الخلفيتين، ودقَّقت النظر فإذا به « سكويلر » يخطو ورجلاه لا تكادان تحملانه من فرط سمنته، ومع أنَّه كان حديث العهد بمشية الرِّجال فإنَّه استطاع أن يحتفظ بتوازنه جيداً ! وبعد لحظة من الزمان خرجت الخنازير من المنزل إلى فناء المزرعة في طابورٍ طويلٍ وهى تمشى على أرجلها الخلفية بعضها كاد يتقن المشية، والأخرى تترنح وكأنَّها تبحث عن عكاز يحفظ عليها توازنها، ولكنَّها على أية حال استطاعت أن تدور حول الفناء بنجاحٍ.

وفجأةً علا نباح الكلاب، وسُمع صوت أذان الديك الأسود، ثُمَّ خرج عليها «نابليون» بذاته وبطلعته الملكية واعتدال قامته وهو يوزّع نظراته المستعلية على رعيته هنا وهناك وكلابه تُحيط به وهى تتوثب، وفى شق ظلفه شاهدت الحيوانات سوطاً! وخيم صمت عميق، وبدت على الحيوانات أمارات الدهشة والخوف، واقتربت بعضها من بعض تشاهد طابور الخنازير وهى تدور حول الفناء في تؤدةٍ، وخُيَّل للحيوانات أنَّ السَّماء قد انطبقت على الأرض، ولمَّا زالت عنها آثار الصَّدمة العنيفة التي أحدثها هذا المنظر، وعلى الرغم من رعبها من الكلاب وعادتها في الصَّمت المتصل عبر السنين الطويلة دون أن تجرؤ على التصريح بالشكوى أو توجيه النقد مهما يكن البلاء والعناء، بالرغم من كُلِّ هذا فإن بعض الحيوانات ربما أفصحت عن امتعاضها واعتراضها الشديدين !

وقبل أن تفكر واحدة منها أن تفتح فمها انفجرت الأغنام في هتافٍ عالٍ وكأنَّها قد تلقت إشارة البدء فانطلقت في صوتٍ واحدٍ تردّد شعاراً جديداً: (ذوات الأربع أخيار، وذوو الرجلين أفضل !).

وظلت الأغنام تُردّد شعارها المستحدث لخمس دقائق دون انقطاع، ولما هدأت كانت الفرصة السانحة للاعتراض قد ولت، وكانت الخنازير قد قفلت عائدة إلى منزلها.

وأحس « بنيامين » بأنف « كلوفر » وهو يقترب من كتفه وقد خبا بريق عينيها أكثر من ذي قبل، ودون أن تتكلم اندفعت تربت عليه بحنانٍ وهى تقوده إلى حائط الحظيرة حيث دونت الوصايا السبع، ولدقيقة أو اثنتين وقفا ينظران الحائط الأسود وعليه حروف بيضاء، ثُمَّ قالت « كلوفر » أخيراً:

ـ إن بصري يخونني كما أنَّني حينما كنت في شبابي لم أكن لأستطيع أن أقرأ ما كان مدوناً على الحائط، أما زالت الوصايا السبع كما كانت على حالها يا « بنيامين»؟

.. وللمرَّة الأوَّلى خالف « بنيامين » سيرته الأوَّلى في الصَّمت، وأخذ في قراءة ما كان مدوناً على الحائط ، ولم يكن على الحائط إلَّا وصية واحدة نصت على الآتي:

(كُلّ الحيوانات سواسية ولكن بعض الحيوانات أكثر مساواة بعضها لبعض!).

ولم يعد من المستغرب بعد ذلك حينما حضرت الخنازير لتلاحظ سير العمل بالمزرعة أن يحمل كُلّ منها سوطاً في أظلافه، ولم يعد من المستغرب أيضاً أن تتوالى الأنباء عن أنَّ الخنازير قد اشترت لأنفسها مذياعاً، وأنَّها تتخذ الترتيبات كافة لشراء تليفون، وأنَّها قد اشتركت في مجلات: « جون بول » John Paul، و« تيتبتس» Tit-Bits [1]، و« الديلي ميرور » The Daily Mirror[2]، ولم تكن الحيوانات لتدهش حينما أبصرت « نابليون » وهو يتنزه في حديقة المنزل على حين يدخن

(1) تيتبتس: Tit-Bits هي مجلة أسبوعية بريطانيَّة أسَّسها أب « جورج نيونز » في22 أكتوبر 1881م. (المُعد).

(2) ديلي ميرور The Daily Mirror هي صحيفة يومية وطنية بريطانية تأسَّست في عام1903م.(المُعد).

غليونه ! ولم يعد يدهشها كذلك منظر الخنازير وهي ترتدي ثياب مستر « جونز » وقد تأنق « نابليون » نفسه في معطفه الأسود؛ كما ارتدت خنزيرته الحسناء ثوباً حريرياً هفهافاً كانت مسز Ms « جونز » تعده لأيام الآحاد !

وبعد ظهر يوم من الأسبوع التالي وفدت على المزرعة عدة عربات هبط منها وفد من جيرانها الزارعين دعوا للقيام بجولةٍ تفتيشيةٍ في أنحاء المزرعة، ليطلعوا بأنفسهم على جميع نشاطاتها، فأبدوا إعجابهم الشديد بكُلِّ ما شاهدوه وبالطاحونة على وجه الخصوص، وكانت الحيوانات في ذلك الوقت منهمكة في تطهير حقل اللفت من الحشائش، وظلت منكبة على عملها لا تجسر على رفع رأسها حينما قدم الوافدون وهى لا تعلم من أمر نفسها شيئاً: هل هم البشر الذين أدخلوا على قلوبها كُلّ هذا الهلع أم هي الخنازير ؟!

***

الفصل
الخامس عشر

الغشاشون !!
Cheaters !!

في مساء أحد الأيام انبعثت من منزل المزرعة ضحكات عالية وأغان صاخبة وقد مسّ الحيوانات شعور فياض بالفضول حينما اختلطت عليها الأصوات، فماذا تكون عليه الحال حينما تجتمع الحيوانات للمرَّة الأوَّلى مع الآدميين على قدم المساواة ؟

وكأنَّما كانت الحيوانات على اتفاقٍ سابق؛ فقد أخذت جميعها تزحف في هدوءٍ إلى حديقة المنزل، وتوقفت برهة قصيرة عند مدخل الحديقة وهى لا تجرؤ علي الدخول، ولكن « كلوفر » قادت الجمع إليها، وعلى أطراف أصابعها تقدَّمت الحيوانات إلى المنزل، وتطلع طوال القامة منها عبر نافذة حجرة الطعام فشاهدوا على المائدة الممتدة ستة من المزارعين، وستة من وجهاء الخنازير يتصدَّرهم «نابليون» في المقعد الرئيس، وبدت الخنازير سعيدة، على سليقتها في مقاعدها الوثيرة !

وكان الجميع يتسلون بلعب الورق، ثُمَّ ما لبثوا أن توقفوا إلى حينٍ لتبادُل شرب الأنخاب، ودارت على المجتمعين آنية ضخمة لإعادة ملء أكواب الجعة الفارغة وهم لا يشعرون بالحيوانات التي كانت تطل عليهم من خارج المبنى وقد علت وجوهها الدهشة !

ثُمَّ وقف مستر« بلكنجتون » صاحب مزرعة « فوكس وود » وكأسه في يده وهو يقترح على الحضور أن يعيدوا ملء كئوسهم؛ ليشربوا نخباً ! ثُمَّ قال إن لديه كلمة تُلِح عليه أن يلقيها:

إنَّه من دواعي سعادتي الغامرة وكذلك سعادة الآخرين أن تنتهي فترة الشَّك وسوء الفهم التي سادت طويلاً العلاقات التي بينهم وبين السَّادة الداعين إلي هذه الوليمة وإلى الأبد، فقد مضى وقت طويل كان في المجتمع، وليس أنا أو السَّادة الزوار على وجه الخصوص، مَنْ ينظر إلى السَّادة مُلاك مزرعة الحيوان المبجلين بعين الريبة أو العداوة، وقد أذكى هذه البغضاء بعض الأحداث المؤسفة التي نجمت عن ظنون خاطئة؛ فقد كان من المعتقد أنَّ وجود مزرعة تملكها وتديرها الخنازير مخالفة لنواميس الحياة؛ ممَّا يُهدِّد جيرانهم بعدم الاستقرار !

.. ثُمَّ أضاف:

وإنَّ كثيراً من المزارعين ظن منذ الوهلة الأوَّلى أنَّ مثل هذه المزرعة لابدّ أن تكون مثلاً للفوضى وسوء النظام ما يُهدِّد بانتقال عدواها إلى حيواناتهم بمزارعهم، وكذلك مستخدميهم. أمَّا الآن فقد زالت نهائياً مثل هذه الشكوك بعد زيارتهم لمزرعة الحيوان وإطلاعهم على واقع أحوالها بأعينهم، وإن ما عاينوه من تطوُّر أساليب العمل بالمزرعة، وكذلك دقة النظام والترتيب يجعل من هذه المزرعة مثلاً طيباً جديراً بالإتباع بين أصحاب المزارع كافة. وإنَّني لأُقرِّر عن يقين أنَّ الحيوانات الدنيا في مزرعة الحيوان إذا ما قُورنت أحوالها بالحيوانات المشابهة في جميع بقاع إنجلترا فهي لا شك أكثرها عملاً وأقلَّها تغذيةً، وأن كثيراً من الأساليب المتبعة في معاملتها كانت لهم أولى بالتطبيق في مزارعهم الخاصَّة !

ثُمَّ استأنف حديثه قائلاً:

أختتم ملاحظاتي مباركاً علاقات الصداقة والود التي سادت والتي يجب أن تسود دائماً بين مُلاك مزرعة الحيوان وسائر جيرانهم، فلم يعد بين الخنازير والبشر أي تضارب في مصالحهم؛ فإن طريق كفاحهم واحد، ومصاعبهم مشتركة تكاد تدور جميع الأحوال حول مشكلات العمالة والعاملين.

.. ثُمَّ اختنقت الكلمات في حلق مستر « بلكنجتون »، وكأنَّه كان يخشى أثر وقوعها على مضيفيه، وقد تردَّد في التصريح بها، وبدا عمق هذه المُجاهدة النفسيَّة عليه حينما حاول أن يكتم بعض الضحكات في صدره !

بعدها أطلق نفسه على سجيتها موجهاً كلامه لمضيفيه، قائلاً :

إذا ما كان لديكم مشكلات تخص حيواناتكم فإن لدينا أيضاً مشكلات خادمينا !

.. وقد هزت هذه المقابلة الفكريَّة أحاسيس الحضور فانطلقوا جميعهم في عاصفةٍ من الضَّحك، ثُمَّ أعاد مستر « بلكنجتون » تهنئته للخنازير على ما بلغته من زيادة ساعات عمل حيواناتها مع خفض وجباتها في الوقت نفسه؛ كما هنأها أيضاً على سياستها الصارمة إزاءها؛ وختم كلمته طالباً من الحاضرين الوقوف، واستهل تهنئته بقوله:

ـ يا حضرات السَّادة، دعونا نشرب نخبنا آملين كُلّ الرفاهية لمزرعة الحيوان !

..وقد قوبلت كلمته بصيحات الإعجاب وصوت الأرجل وهى تقرع الأرض، وبلغ الحماس بـ «نابليون» أنَّه ترك مكانه إلى حيث يجلس مستر«بلكنجتون » وقرع كأسه بكأسه قبل أن يفرغ محتواها في جوفه !

وحينما هدأ التصفيق ظل « نابليون » واقفاً وقد أبدى للحاضرين أنَّه أيضاً لديه ما يقوله، وكعادته دائماً فقد كانت خطبته قصيرة وإن كانت تصل إلى أهدافها مباشرة، وابتدر كلامه قائلاً :

إنَّني سعيد بنهاية فترة الشك ما بيني وبين جيراني، فإن ذوى المصالح من

أعدائي قد أطلقوا شائعات خبيثة عن أنَّني وزملائي ثوريون ذوو أهدف هدَّامة، كما نسبوا إلينا محاولات مزعومة لإثارة العصيان والشَّغب بين حيوانات المزارع الأخرى المجاورة..

.. وقد كذَّب « نابليون » مثل هذه الشائعات المغرضة، قائلاً:

إنَّني الآن كما كان في الماضي لا أنشد إلَّا السَّلام، وأن تسود بيني وبين جيراني علاقات الود والتعاون، فأنَّ مزرعة الحيوان التي يشرفني إدارتها ليست إلَّا مشروعاً تعاونيًّا أمتلك أسهمه بالتضامن مع جميع الخنازير، وأنَّني علي ثقتهٍ بان سوء الظن القديم بيني وبين جيراني قد ولى وانتهى؛ و إسهاماً مني في دعم هذه الثقة سأعمل على إدخال تعديلات جديدة على نظام العمل بالمزرعة؛ فقد لاحظت أنَّه قد فشت منذ زمن طويل عادة سخيفة لدى الحيوانات لا أعرف أسبابها في توجيه بعضها إلى بعض كلمة (رفيق) ، وإنَّني أُقرِّر وقف استعمالها، كما أنَّ الحيوانات قد درجت أيضاً على عادة قبيحة لا أعرف أسباب نشأتها في السير في طابور عند صباح الآحاد، ثُمَّ الانحناء بالتحية لجمجمة خنزير مثبتة على قاعدة تحت سارية العلم بالحديقة ! وإنَّني أُقرِّر أيضاً إلغاء هذه الطوابير ودفن الجمجمة.

..كما تساءل « نابليون »:

ـ هل لاحظ زواري علم المزرعة الذي كان يرفرف علي ساريته بفناء المنزل ؟ فإذا ما كان الأمر كذلك فلابدّ أنكم قد لاحظتم أيضاً أنَّني أزالت من العلم رسم الحافر والقرن ! ولقد قرَّرت أن يكون لون العلم أخضر صرفاً !

..ثُمَّ وجه حديثه بعد ذلك إلى مستر « بلكنجتون » معاتباً له ومبدياً، ملاحظاته على خطابه الممتاز الذي تميَّز بروح الصداقة الخالصة، فقال « نابليون »:

إنَّ جاري العزيز مستر « بلكنجتون » قد أخطأ حينما أورد اسم المزرعة على أنه (مزرعة الحيوان)، وواقع الآمر أنَّ هذا الاسم قد تقرَّر إلغاؤه أيضاً، وإنَّني أُعلن

للمرَّة الأوَّلى، فإن الأمانة التاريخية تقتضى أن يخلع على المزرعة اسمها الحقيقي القديم مزرعة(مانور).

ثُمَّ ختم حديثه قائلاً:

ـ يا حضرات السَّادة, إنَّني أقترح نخباً لا يختلف هو وسابقيه في جوهره، وإن اختلف من حيث الشكل فاملئوا كئوسكم حتى نهايتها، وإليكم نخبي يا حضرات السَّادة متمنياً مزيداً من الرفاهية لمزرعة (مانور)!

.. وقد قوبلت كلمته بالترحيب والامتنان، وشربوا كئوسهم حتى الثمالة !!

وكانت الحيوانات تنظر لما يدور وقد أدركت أنَّ شيئاً غريباً يلوح في الأفق فما عادت تعلم ما الذي أبدل ملامح الخنازير ؟ وظلت عينا « كلوفر » الذابلتان تنتقلان من وجه خنزير إلى آخر فمنها ما كان لُغده[1] ذا خمس طيات، ومنها ما كان له أربع أو ثلاث، ولكن « كلوفر » لم تعد تدرى ما الذي جد على الخنازير أوعليها هي ؟ فما عادت تميّز بين وجه وآخر !

ثُمَّ انتهي التصفيق، وعاد الجلوس إلى لعب الورق مستأنفين أدوارهم التي توقفوا عنها ريثما يتبادلون الكلمات والأنخاب !

وزحفت الحيوانات بعيداً في صمتٍ ووجومٍ، وما كادت تبتعد عشرين ياردة حتى توقفت ثانياً فإن صخباً مدويًّا، انبعث من المنزل، فاندفعت تستطلع الخبر عبر النوافذ من جديد، فإذا بها أمام نقاش حام يدور حول مائدة اللَّعب، وعلا الصياح والدق بقبضات الأيدي على المائدة، وتبادل الرِّجال والخنازير الاتهامات وانبعثت من أعينهم نظرات الشك، فمنهم من يوجه الاتهامات، ومنهم من ينفيها في عصبيةٍ

(1) اللُّغْدُ : اللَّحمةُ بين الحنك وصَفحة العنق، واللُّغْدُ أيضاً: ثنيَّةٌ في أسفل عُنُق البقرة أو الجاموس أو الدِّيك الرُّوميّ، واللُّغْدان: جانبا الحلق. (المُعد).

ظاهرةٍ، وقد اتضح أنَّ سبب الشقاق هو أن « نابليون »، أو مستر « بلكنجتون » كان يغش في اللَّعب، فقد رمى كُلّ منهما بالورقة الواحدة نفسها تلو الآخر!

وعلت نبرات الغضب من اثني عشر صوتاً تشابهت نبراتها، وتشاكل أصحابها، فما عادت الحيوانات تدرك: أين الخنازير ؟ وأين الرِّجال ؟

ففي الخارج كانت المخلوقات التعسة تنتقل بأبصارها من الخنزير إلى الرَّجل، ومن الرجل إلى الخنزير، ومن الخنزير إلى الرَّجل مرَّة أخرى، وقد اختلط عليها الأمر كثيراً فما عادت تميّز بين هؤلاء وهؤلاء !!

***

المحتويات

المقدمة	3
تمهيد	5
الفصل الأول: البشر جميعاً أعداؤنا	31
الفصل الثاني: الحيوانات تنتصر	42
الفصل الثالث: من أجل صحة الخنازير	52
الفصل الرابع: معركة الثاني عشر من أكتوبر	59
الفصل الخامس: الحقد الأعمى	67
الفصل السادس: ميلاد الديكتاتور	74
الفصل السابع: الطاحونة	79
الفصل الثامن: العصيان.. والخيانة	89
الفصل التاسع: نهاية الأحلام السعيدة	97

الفصل العاشر: الصفقة1	103
الفصل الحادي عشر: معركة الطاحونة	112
الفصل الثاني عشر: نبوءة الغراب	120
الفصل الثالث عشر: الغدر يطال الأوفياء	127
الفصل الرابع عشر: الحيوانات تتشبه بالبشر	135
الفصل الخامس عشر: الغشاشون	143
المُعد في سطور	151

***

مُعد ومُقدّم الرواية

وفيه صفوت مختار

- من مواليد 19 يناير 1958م،مدينة طهطا ـ محافظة سوهاج.
- حاصل علي ليسانس الآداب والتربيَّة، جامعة أسيوط كلية التربيَّة بسوهاج،عام1980م.
- حاصل علي الدبلوم الخاص في التربيَّة وعلم النفس،جامعة أسيوط،كلية التربيَّة بسوهاج، عام1984م.
- كبير الأخصائيين التربويين بوزارة التربيَّة والتعليم بدرجة وكيل وزارة (سابقاً).
- محاضر تربوي في تجمعات الشَّباب، وأعضاء هيئات التدريس، وأولياء الأمور.

- أُدرجت سيرته الذاتية والعلمية وأهم مؤلفاته بالموسوعة الحُرَّة ويكيبيديا .
- عمل مُحرِراً صحافيًّا بمجلة « هو وهي » (قبرص)، ومجلـة « دُبي الثقافيَّة » (دولة الإمارات العربيَّة).
- فاز بجائزة الشيخ « عبد الله المبارك الصباح » للإبداع العلمي علي مستوي الوطن العربي، عن نتاجه المتميّز: «المُخدرات وأثرها المُدمِّر»، عن دار الشاعرة الدكتورة « سعاد الصباح » بدولة الكويت.
- تلقي خطاب شكر وتقدير من السَّيِّدة « سوزان مبارك »، بمناسبة ظهور بعض مؤلفاته التربويَّة. (رئاسة الجمهورية في 12 مارس 2002م).
- سجل للتلفزيون المصري، علي قناته السَّابعة، العديد من الحلقات التربويَّة والثقافيَّة في عدة برامج، منها: برنامج « الطفل والمجتمع »، وبرنامج « أوراق ملوَّنة ».
- قامت الأديبة والصحافية « سماح عادل » بإجراء حواراً مطولاً مع الكاتب، علي صفحات مجلة كتابات علي شبكة الإنترنت.
- قامت الصحافية « سعدية شعيب »،بتقديم آراء الكاتب تجاه قضايّا الطفولة والأمومة وشؤون الأسرة الواردة في مؤلفاته،ضمن زاويتها المتخصِّصة (المرأة والطفل) بجريدة الأهرام اليوميَّة،في الفترة من عام2003م وحتى عام2007م بعد المُعالجة الصحافية.
- تُرجمت بعض مقالاته إلي اللُّغة الإنجليزيَّة.

- تناولت الصحف والمجلات المصريَّة والعربيَّة مؤلَّفات الكاتب بالنقد، والتحليل، والعرض، والإعلان،من بينها: جريدة المساء الأسبوعية، جريدة الأهرام اليوميَّة، جريدة الجمهورية، جريدة المصري اليوم، مجلة الوعي الإسلامي، المجلة العربيَّة.
- علي شبكة الإنترنت يحظي الكاتب بعشرات المواقع، والصحف الإلكترونيَّة التي تناولت سيرته الذاتية والعلميَّة، بالإضافة إلي أغلب مقالاته ومؤلَّفاته، منها: ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، موسوعة الكتب العربيَّة والأجنبيَّة www.ebooks-cloud.comا، اتحاد الجامعات العربيَّة www.eulc.edu.eg ، أكاديمية علم النفس، مكتبة الإسكندرية. مجلة فكر الثقافيَّة www.fikr.mag.com ،جريدة البلاغ الالكترونيَّةwww.balagh.com ، موقع كتبي. kotobi.com www، موقع دراسات الأهرامdigital.ahram.org.eg .
- للكاتب حوالي 111)) دراسة ومقالة في المجالات التربويَّة، والسيكولوجيَّة،والعلميَّة، والثقافيَّة المتنوعة، و المنشورة بالمجلات والدوريات المصريَّة والعربيَّة، مثل: مجلة القافلة، مجلة العربي، مجلة الفيصل، مجلة الخفجي، مجلة الوعي الإسلامي، مجلة البحرين الثقافيَّة، مجلة منار الإسلام، المجلة العربيَّة، مجلة الكويت، مجلة الفيصل العلميَّة، مجلة الصلاح، مجلة الدفاع، مجلة الرافد.
- للكاتب (66) دراسة ومقالة التي تتعلَّق بالسير الذاتية (أدب التراجم)، في مختلف المجالات وعلي رأسها الآداب والفنون التشكيليَّة، والتي نُشرت بالمجلات والدوريات المصريَّة والعربيَّة،منها: مجلة

هو وهي، مجلة الكويت، مجلة دُبي الثقافيَّة، مجلة الرافد، مجلة الشارقة الثقافيَّة، المجلة العربيَّة.

- للكاتب (20) حواراً أجراها مع كبار الشعراء والأدباء وقادة الفكر في مصر، والتي نُشرت بالمجلات والدوريات المصريَّة والعربيَّة،منها: مجلة هو وهي، مجلة الكويت،مجلة المنهل، مجلة الحرس الوطني، المجلة العربيَّة، مجلة الشعر.
- كتب المؤلِّف في التراجم والسير الذاتية للأطفال، والتي نُشرت علي صفحات مجلة قطر الندي المصرية.

الكتب التي صدرت للمؤلّف:

1ـ مشكلات الأطفال السلوكيَّة، القاهرة: دار العلم والثقافة،1999 م.

2 ـ أبناؤنا وصحَّتهم النفسيَّة، القاهرة: دار العلم والثقافة،2001م.

3 ـ المدرسة والمجتمع والتوافق النفسي للطفل، القاهرة: دار العلم والثقافة،2003 م.

4 ـ سيكولوجيَّة الأطفال ضعاف العقول، القاهرة: دار العلم والثقافة، 2005م.

5 ـ سيكولوجيَّة الأطفال الموهوبين، القاهرة: دار العلم والثقافة، 2005م.

6 ـ الأسرة وأساليب تربية الطفل، القاهرة: دار العلم والثقافة، 2005م.

7 ـ مشكلة تعاطي المواد النفسيَّة المخدرة، القاهرة: دار العلم والثقافة،2005 م.

8 ـ سيكولوجيَّة الطفولة، القاهرة: دار غريب، 2005م.

9 ـ بستان المعرفة، القاهرة: دار موناليزا، 2007م.

10 ـ كتب ومكتبات الأطفال وتنمية الميول القرائية، القاهرة: دار الطلائع،2009 م.
11ـ فن رعاية الطفل في البيت والمدرسة، القاهرة: دار الطلائع، 2009م.
12ـ سيكولوجيَّة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصَّة، القاهرة: دار غريب، 2010م.
13ـ وسائل الاتصال والإعلام وتشكيل وعي الأطفال والشَّباب، القاهرة: دار غريب، 2010م.
14ـ تأخُّر الكلام عند الأطفال، القاهرة: دار البطوسي، 2010م.
15 ـ النمو الحركي للطفل وأهم الأنشطة الترويحيَّة والمدرسيَّة، القاهرة: دار الطلائع 2011م.
16ـ الصحَّة النفسيَّة وأساليب تنشئة الطفـل...أُسريًّا، وتربويًّا، ومجتمعيًّا، القاهرة: دار الطلائع ،2012 م.
17ـ الموسوعة الأدبيَّة الكبرى: أشهر المبدعات في تاريخ العالمي، القاهرة: دار الطلائع، 2013م.
18ـ الطفل الموهوب، طرق اكتشافه،وأساليب رعايته،القاهرة: دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلميَّة،2017 م.
19ـ إشباع الحاجات الأساسية للأطفال:الجسميَّة، والعقليَّة، والنفسيَّة،القاهرة: دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلميَّة،2017 م.
20ـ الاكتئاب مرض العصر: كشف أسراره، ومعرفة أسبابه، وإستراتيجيات الوقاية والعلاج، القاهرة: دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلميَّة،2017 .م.

21ـ كيف تتخلَّص من القلق وتبدأ الحياة من جديد، القاهرة: دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلميَّة،2017 م.

22ـ أحدب نوتردام رواية للأديب الفرنسي « فيكتور هوجو »، إعداد وتقديم، القاهرة: دار الطلائع،2017م.

23ـ أحدب نوتردام رواية للأديب الفرنسي« فيكتور هوجو »،إعداد وتقديم،الجزائر: دار الهدي، 2017م.

24ـ آنا كارنينا رواية للأديب الروسي« ليو تولستوي »، إعداد وتقديم، القاهرة: دار الطلائع ،2017 .

25ـ آنا كارنينا رواية للأديب الروسي« ليو تولستوي » ، إعداد وتقديم، الجزائر: دار الهدي،2017 .

26ـ الآمال العظيمة رواية للأديب الإنجليزي « تشارلز ديكنز »، إعداد وتقديم، القاهرة: دار الطلائع،2017 .

27 ـ الآمال العظيمة رواية للأديب الإنجليزي « تشارلز ديكنز »، إعداد وتقديم، الجزائر: دار الهدي،2017 .

28 ـ ذهب مع الريح رواية للأديبة الأمريكية « مارجريت ميتشل »، إعداد وتقديم، القاهرة: دار الطلائع،2017 .

29ـ كوخ العم توم رواية للأديبة الأمريكية « هاريت بيتشر ستو »، إعداد وتقديم، القاهرة: دار الطلائع،2017 .

30ـ 1984 رواية للأديب الإنجليزي« جورج أورويل »،إعداد وتقديم،القاهرة: دار الطلائع،2017.

31ـ ابنة الحظ رواية للأديبة التشيلية « إيزابيل الليندي »، إعداد وتقديم، القاهرة: دار الطلائع،2017 .

32ـ محبوبة رواية للأديبة الأمريكية « توني موريسون »، إعداد وتقديم، القاهرة : دار الطلائع ،2018 .

33 ـ نساء صغيرات رواية للأديبة الأمريكية « لويزا ماي ألكوت »، إعداد وتقديم، القاهرة: دار الطلائع،2017 .

34ـ مدام بوفاري رواية للأديب الفرنسي« جوستاف فلوبير »،إعداد وتقديم، القاهرة: دار الطلائع،2018 .

35ـ مشكلات الأطفال : مظاهرها،أسبابها،طرق الوقاية والعلاج،القاهرة :دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلميَّة،2018 م.

36ـ تربية الأبناء في عصر الإنترنت، القاهرة: دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلميَّة،2018 م

37ـ كيف تقوي ذاكرتك وتتغلَّب علي النسيان، القاهرة: دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلميَّة، 2018م.

38ـ قمم أدبية: شعراء وأدباء في رحلتهم نحو المجد،جمهورية بلغاريا ـ بلوفديف :دار الدراويش للنشر والترجمة،2019م.

39ـ أطفالنا وأحدث أساليب التربية، القاهرة: دار أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي،2019م.

40ـ اضطرابات الأطفال النفسيَّة والعقليَّة والسلوكيَّة، القاهرة: دار أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي،2019م.

41ـ كيف ننمي ذكاء أطفالنا ؟، القاهرة: دار أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي،2019م.

42ـ عادات الفم السيئة عند الأطفال (مصّ الأصابع وقرض الأظافر)،القاهرة: دار أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، 2019م.

43ـ أطفال التوحُّد الأوتيزم، القاهرة: دار أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، 2019م.

44ـ الأطفال والشَّباب وإدمان الإنترنت، القاهرة: دار أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي،2019م.

45ـ لا تدع القلق يُسيطر علي حياتك، القاهرة: دار أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي،2019م.

46ـ اكتشاف ورعاية أطفالنا الموهوبين، القاهرة: دار أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي،2019م.

47ـ كيف تتمتَّع بذاكرة حديدية ؟، القاهرة:دار أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي،2019م.

48ـ كيف نشبع حاجات أطفالنا ؟،القاهرة:دار أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، 2019م.

49ـ وداعاً للاكتئاب والضغوط النفسيَّة، القاهرة: دار أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي،2019م.

50ـ خيري شلبي.. الكاتب والإنسان، دار أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي،2019م. (بالاشتراك مع الأديبة ريم خيري شلبي).

51ـ ألوان وظلال..روَّاد الفنّ التشكيلي في مصر والعالم، القاهرة: دار أفاتار للطباعة والنشر، 2019م.

52ـ إستراتيجيات تربوية في رعاية الأطفال، القاهرة: دار حرف للنشر والتوزيع،2019م.

53ـ سيكولوجية النمو والارتقاء في المراهقة ، القاهرة: دار حرف للنشر والتوزيع،2019م.

للتواصل مع المؤلّف:

- هاتف منـــزل: 093/4774608
- هاتف محمول :01063549339

E-mail:Wafeek.safwat2016@gmail.com

***